

مغامرات
أرجين لوين

البيت الأسود



٥٠ مليما

الفصل الأول

جلس مارتن ديل قرب المدفأة يصطلي في هذا اليوم
التشديد القرم من ايام شهر يناير وهو متردد لا يقصر له
قرار: يخرج الى نيويورك في هذا الطقس العاصف المطير
المكفهر التماسا للتسليية واليهو، ام يقع في داره ايتارا للذعة
والسكينة والدفء ..

وانه لكذلك اذ رن جرس التليفون .. واذا المتكلم صديقه
ا ثورن (المحامي الشيخ .. ومن عجب انه راج يكلمه
في نبرات تشف عن البلع الانفصال وقد عهده مارتن ديل
ابدا مثال الرصانة والجمود، فلم يتمالك ان سألته:

— ماذا دهالك يا صاحبي؟ هل مرضت زوجتك؟
فاجاب (ثورن) سلبا في صوت اجش لاهت وكأنه كان
يركض، فقال له مارتن ديل:

— اين كنت بحق الشيطان؟ ابي قابلت (آن) امس
فعلمت منها انها لم ترك منذ اسبوع .. وصحيح ان زوجتك
اعتادت اهمالك في تلك المشائل القضائية التي لا نهاية
لها، ولكن غيبك اسبوعا كاملا ..

— اصغ الى يا مارتن، ولا تضيق وقتي! انا في اشد
الحاجة الى مساعدتك .. فهل يمكنك مقابلتي على الرصيف
رقم ٥ في خلال نصف ساعة؟
— طبعاً ..

فصمم ثورن كمن يحمد الله او ينس الصعداء وادف
قائلا في غير هوادة:

— جهز متاعك لفياب بضعة ايام .. وتروود على الاخص
بمسدس .. مسدس يا مارتن! .. اسمع!

— نعم سامع يا ثورن ..

— انا ذاهب الى الباخرة (كورونيا) التي ستروم على
الرصيف صباح اليوم .. ومعى رجل يدعى الدكتور
ريناخ .. واما صفتك فانت زميل لي في المهنة .. فهمت؟
وليكن مسلكك حيالنا مشعبا بالحزم والشددة والمعد
التمام عن اللين والهوادة .. ولا تسال رفيقي، بل لا تسالني
سؤالا واحدا .. ولا تدع له مجالا للتاثير فيك او زعزعتك ..
مفهوم؟ ..

فأجاب مارتن ديل:

— مفهوم .. وان كان الفهم محدودا .. هل من شيء
آخر؟ ..

— بلغ (آن) سلامي واخبرها اني ساجيب اياها اخرى ..
ولكن قل لها انك معى راني بخير .. ثم اطلب اليها
ان تتصل بمكتبي تليفونيا لابلاغ (كروفورد) عن غيابي ..
— تعنى انه حتى زميلك وشريكك في المكتب لا يعرف
شيئا عن حركاتك ونشاطك؟! ..

لكن (ثورن) ترك التليفون دون جواب ..

— فوضع مارتن ديل السماعة عابسا وهو في عجب اي
عجب من صاحبه ..

فقد عرف (ثورن) من عهد بعيد فوجده المواطن
الهاديء الرصين والمحامي الناجح الذي تدور حياته على
وتيرة جامدة بعيدة كل البعد عن اسباب التغيير المفاجيء
والانقلاب العنيف! وما هو ذا الان براه غارقا حتى اذنيه
في خضم من الخفاء والابهام ..

وامهما يكن، فقد ابتسم مارتن ديل راضيا قريه العين
واتصل تليفونيا بزوجته المحامي فطمأنها على زوجها،
وان هي الا دقائق حتى كان في سيارة تسابق به الريح
الى العيشاء وقد تروود بحقيته وتسلخ بمسدسه ..

الفصل الثاني

ما كاد بلرتن ذيل يلقي نظرة على صاحبه (ثورن) حتى اشفق من هذا الانقلاب الذي طرا على حالته والذي شغله برهة عن الاهتمام برقيقه البدن الواقف بجانبه على رصيف الميناء ..

فقد بدا له (ثورن) تكمشا ضيلا وكانما شاخ وطمع في السن ، ونبتت فوق عارضيه لحبة قصيرة ونجرد هندامه من هذه العناية التي عرف بها ، وصافح مارتن ذيل وهو يضغط على يده في حرارة وقد لمعت عيناه المحمرتان لمعانا خفيا وكانما سرى عنه حين رآه قد خف اليه وسارع الي نحدثه ..

وهما يكن فان المحامي كتم شعوره وقال في لهجة عادية :

- اهلا بك يا مارتن ! اننا سننظر الى الانتظار اكثر مما قدرنا .. اقدم اليك الدكتور هيربرت ريشاخ .. اعرفك يا دكتور مارتن ذيل .

فقال مارتن ذيل في اقتضاب وفي لهجة ادنى الى الجفاء وهو يلمس يد الطبيب المكسورة بالقفاز :

- تشرفنا ..

فرد الطبيب على تحيه مجاملا في صوت عميق خرج من حجاب صدره وكانما يخرج من كهف سحيق .. فالتفت مارتن ذيل الى المحامي وقال وهو يشعل سيجارة :

- ابن الباخرة (كورونيا) ؟ ..

فاجاب (ثورن) : انها محجوزة في (الكورنتينا) بسبب اصابة موزية بين الركاب والمفهوم ان حجزها سيستمر بضع ساعات .. ما راىكم في الذهاب الى غرفة الانتظار ؟

رغم عرفة الانتظار المزدحمة جلس مارتن ذيل عن كتب من صاحبه بحيث يراقب ما يدور على صفحتي وجهيهما ..

فانشا (ثورن) يقول وكان للموضوع سابقة :

- لا ريب ان (اليس) متضايقه ملاما .. لكن الملل صيغة ملازمة لاسرة (هيوز) ، على قلة معرفتي باطوار (سلفستر) الشيخ .. الا ترى هذا يادكتور ؟ . الواقع ان الانسان لا يملك الا ان يتضايق شي قطع هذه المرحلة الطويلة قادما من انجلترا ، لكي يحجز اخيرا في الميناء ! .

والحق ان مارتن ذيل اطرى في سره هذه المعلومات الباردة التي تطوع بها المحامي الشيخ الداهية لكي يزوده بما تيسر من البيانات .. وقد فهم منا انهم جاءوا لاستقبال من تدعى (اليس هيوز) التي قلمت من انجلترا على الباخرة (كورونيا) ولعل سلفستر الشيخ هو من اكابر اسرة (هيوز) ومن اقرباء (اليس) طبعاً ..

وقال الدكتور ريشاخ وهو يصوب عينيه الضيقتين الى حقبة مارتن ذيل :

- لعلك مسافر الى مكان ما يا مستر ذيل ؟

ففهم مارتن ذيل من هذا السؤال ان الطبيب لا يعرف انه سيلازمهم مهيا تكن وجهتهم ، بينما تولى المحامي الجواب على سؤال الطبيب ، فقال بلهجة ادنى الى العداوة :

- ان ذيل سيذهب معي ..

فاجاب الطبيب البدن في رقة وهو يطرف بعينيه الفارقتين في وجهه العالي : احقا ؟

وقال (ثورن) فجأة :

- واحب ان اقول ان مارتن ذيل زميلي في المحاسبة .. وقد اجتذته هذه القضية ..

فقال الطبيب البدن : قضية ! ؟

القضية . وان ثمة ايضا عجوزا غريبة الاطوار هي شقيقة المتوفى ..

اما ماعية هذه القضية الغامضة الخفية التي حيرت المحامي تورن وانارت منه هذا الاضطراب الشديد الذي آسنه مارتن ديل في طواره ، فهذا ما لم يستطع بعد ان يتأدى اليه او يتعد ان يواظبه ..

واذ اقت السقينة مراسيها وساد الهرج والمرج في كل مكان قال المحامي وهو يهتز انفعالا :

— ها هي ذي .. التي اعرفها اينما تكن من صورها الفوتوغرافية .. هي تلك الفتاة التحيفة ذات القبعة السوداء !

وهرع تورن لاستقبال فتاة صيفاء مليحة موفورة الرشاقة ترتدى ملابس تشف عن البساطة والاقتصاد .. وعاد بها الى صاحبيه وهو يربت على يدها العنكسوة بالفقار ويتحدث اليها في هدوء ، اما هي فببت مشرقة الوجه منبسطة اسارير ظاهرة المرح حتى لقد اقتنع مارتن ديل من طوانع هيئتها انها تجعل كل الجهل ما ينتظرها من غوامض هذه القضية رخاويها ، او من فواجعها وماسيها .

واعربت الفتاة في لهجة مهذبة وفي رطانة بريطانية عن سرورها بهذا الاستقبال ، ثم راحت تقلب نظرها بين الدكتور ريناخ ومارتن ديل في رصانة وهدوء .. فقال المحامي :

— هذا يا آنسة هيوز عمك الدكتور ريناخ .. اما هذا لسيد فليس من اقربائك ، بل هو مستر ديل ، احد زملائي . فقالت الفتاة في صوت متهدج وقد تلفتت الى الطبيب :

— آه .. عسى هربرت .. شه ما كنت اشعر بالوحدة في حياتي العاضية .. فقد كنتم في نظري اعنى انت

فقال المحامي :

— هذا وصف قضائي طبيعا .. والواقع اني اردت ان اشركه لمساعدتي في .. في الدفاع عن مصالح (اليس هيوز) .. لعلك لا تمنع ..؟

فاجاب الطبيب في حرارة وهو يسل جفنيه ويشبك يديه فوق بطنه :

— كلا بتاتا .. والحق اني سعيد بلقائك يا مستر ديل ..

وقبع الطبيب في مجلسه جامدا مسترخيا .. لكن مارتن ديل قدر ان وراء هذا الجبل الشحمي المترهل المتكاسل عزيمة واردة ومضاء ..

وقال تورن اخيرا في اعياء :

— ما زايمكم في تناول طعام الغداء ؟ .. اننى اكاد اموت جوعا ..

وما وافت الساعة الثالثة حتى كانوا واقفين على رصيف الميناء يشخصون الى الباخرة الكبيرة وهي تتهدى الى برساها . وقد استطاع مارتن ديل في خلال الساعات القليلة ان يلم بعض عناصر الموقف ..

فقد علم ان المدعو (سلفستر هيوز) قد توفي اخيرا وكان في حياته مصابا بغلغل عقلي .. وان له دارا في ضاحية نائية منعزلة في (لونغ ابلاند) وان (اليس هيوز) القادمة بالباخرة كورونيا هي ابنة المتوفى .. وكانت مقترفا عن ايها مند طفولتها ..

كما علم ان الدكتور ريناخ هو ريب والد (سلفستر هيوز) وانه تكفل ايضا برعايته وعلاجه في خلال مرضه الاخير .. وعلم فوق هذا ان الطبيب متزوج من امرأة لم يعرف مارتن ديل موقفها على وجه التحديد من

فتبخت الفتاة مروعة شديدة ، ثم اخلدت الى السكينة
مغلوبة على امرها ..

وقال ثورن بعد صمت يسير :

- يؤسفني اشد الاسف ان استقبلك يمثل هذا الشيا ..
وهو لا ريب شديد الوقع في نفسك لكن قد يخفف منه انك
لم تجتمعي به قط منذ عهد الطفولة .. وكانك لم تعرفيه .

فقالت اليس في صوت محتبس :

- عى صدمة طبعاً .. ومع ذلك فقد كان غربياً لدى كما
قلت .. والواقع اني كنت طفلة صغيرة حين طلقت والدي
منه ، وذهبت بي الى انجلترا كما حدثتلك في رسالتي
اليك .. ولست اتذكر والذي فقط ، ثم لم اسمع عنه شيئاً
منذ ذلك العهد ، ولم اره .

فأبى المحامي على كلامها ، فاستطردت :

- وقد كان ممكن ان اقف على مزيد من البيانات عن

ابي لو لم تمت امي واتا بعد في السادسة من عمري .. وقد
تركنتني في كفالة خالي الذي توفي في العام الماضي ،
وهكذا اصبحت وحيدة في هذا العالم .. حتى اذا جاءني
رسالتك يا مستر ثورن زالت وحشتي وساورتني الفضة
والفرح واحسنت اني لم اجد وحيدة في الدنيا ..
اما الان .. وكفت عن استرسالها وشرعت تحديق من
خلال نافذة السيارة .

فما سمع الدكتور ريناخ هذا الكلام حتى اذار راسه
الضخم وقال وهو يتسم في حنو ورقة : وهناك زوجتي
مطلية .. بل هنالك ايضاً شاب يدعى كيث يتولى خدمتنا ،
وهو يتوقد الذكاء كثير النشاط ..
وأردف الطبيب ضاحكاً :

يا هي وعمتي سيارة والباقيين ، كما فراد القمص والاساطير !
أما الان ..

وأحتسب صوتها وهي تطوق الرجل البدين يساعدها
وتقبل خديه المتهدلين

وأردفت الفتاة قائلة

- لكن لا بد ان نقص على كل شيء ! .. كيف حال ابي ؟ ..
وان كان هذا السؤال عجباً في الواقع .

فبادرها المحامي قائلاً :

- الا ثورن يا آنسة هيوز ان تنتهي اولاً من الاجراءات
المجرية ؟ .. ان الوقت متأخر وامامنا رحلة طويلة في
(لوند ايلاند) .

فقالت الفتاة باسمه :

- انتي تحت تصرفك يا مستر ثورن .. والواقع ان
رسالتك الى كانت آية في الرقة والطيبة

واستقبلوا اخيراً سيارة الدكتور ريناخ التي تولى الطبيب
قيادتها بنفسه .. وحلست مارتن ديل الى جانب الطبيب
قد ارجف سمعه لما يقرر من حديث خلفه دون ان يلقي بالها
الى الطريق الذي اخذت السيارة تسلكه .

وتتحنج المحامي آخر الامر وقال يخاطب الفتاة الجالسة
الي جانبها في لهجة من يوشك ان يلقي شيئاً بالغ الخطورة
- ان لدينا تبا محزناً لك يا آنسة هيوز .. ومن الخير
ان تغضي عليه الان

فتمتمت الفتاة بعد هبة :

محزون ؟ محزون ؟ .. آه .. لهله ليس ...

فقالت ثورن في صوت خافت :

- هو والدك .. انه توفي .

- وكذلك ترى يا اليس أنك ستكويين في جمع من الرفاق
والاصحاب

فتمضت الفتاة قائلة :

- شكرا لك يا عمي هربرت .. انا واثقة من كرمك وطيبتك
.. كيف توفي ابي يا مستر تورن . انك اخبرتنى في رسالتك
بعرضه ، لكن ..

- انه اصيب بغيوبة مفاجئة منذ تسعة ايام .. وكنت اذ
ذاك لم ترحى انجلترا بعد ، وقد ابرقت اليك في الحادث
الذي كنت تعطين به ، لكن البرقية لسبب ما لم تصل
اليك .

- ومتى توفي ؟

- منذ اسبوع .. يوم الخميس .. ولم نستطع تأجيل
الدفن انتظارا لمضورك .. والحقيقة انه كان بإمكانى ان ابرق
اليك على ظهر الباخرة ، لكنى لم ارد ان افسد عليك رحلتك ..
فقالت الفتاة وقد اشتد تهديج صوتها :

- لست ادري كيف اعبر لك عن امتناني لما تعبت من اجلي
.. وانه لما يعزى الانسان ان يجد ..

فقال الدكتور ريناخ : ان الخطب فادح لنا جميعا .
فقالت اليس : لا ريب في ذلك يا عماء .. انى اشاطرك
شعورك ..

واخلدت الى الصمت جينا .. حتى اذا تكلمت اخيرا
راحت تقول :

- حينما توفي خالى لم ادر كيف يتسرى الاتصال
بوالدى .. ولم اعرف احدا في امريكا الجا اليه سواك
يا مستر تورن ، بعد ان زودنى بعض اهل الخير بعنوانك .
وعند ذلك بدالى انك كمحسام ، تستطيع الجمع بينى وبين
ابى .. وكذلك كتبت اليك في اسهاب كما تعرف

وبعنت اليه بالمصور الفوتوغرافية وغيرها من الوثائق اللازمة .
فقال تورن في لهجة اذنى الى التانو :

- وقد فعلنا طبعاً كل ما فى وسعنا .. ولما تيسر لى
لاعتداء الى والدك وذهبت اليه لاول مرة واطلعت على
رسالتك وعلى صورك ، رايت منه لهفة بالغة وحاجة ماسية
الى لقاءك .. والظاهر انه كان يعاني فى الاعوام الاخيرة متاعب
نفسية وعقلية غير يسيرة .. وكذلك كتبت اليك بنساء على
طلبه .. وفى خلال زيارتى الثانية له ، اى حين رايتنه
لاخر مرة على قيد الحياة ، التيرت مسالة .. مثلكاته ..
فقالت اليس فى اعياء : ارجوك يا مستر تورن ان ترجىء
الان الكلام فى هذا الموضوع فانى لا استريح الى الخوض
فيه فى مثل هذا الظرف الجمالى .

وفى خلال ذلك كانت السيارة تنهب الارض نهبا فى
الطريق المقفر المهجور وكانها تولى الادبار فرارا من وطأة
الطقس .. فقد تلبدت السماء بغيوم متكاثفة ، واكتمت وجه
الافق ، ونفذ البرد الى داخل السيارة يخز الاجسام وخزا .
وبدت الطريق وكأنها لا نهاية لها .. وكانت تعشد
متشابهة وهى تماثل حالة الطقس تجمعا وعموسا ..

وانحرفت السيارة عن الطريق العام الى طريق فرعى شديد
الصلابة تحف به الاشجار اليابسة على الجانبين وقد تجردت من
تجردت من عالم الحياة والشمس حتى تكاثف لغتها التيران
غير مرة .. وكان المسجد فى جملته اذنى الى الوحشة
والخراب ..

ولم تتمالك اليس ان قالت وهى ترى ما رات :

- ان هذا المشهد لا يجتذب النفوس !

ولعلها كانت تفكر وهى تقول هذه العبارة فى اطوار
ذلك الوالد القريب الذى اقم فى هذه الارض الموحشة

المعفرة ، وفي انها المنكودة التي مرت منها منذ عهد بعيد !
وقال الدكتور ريناخ ردا على كلامها ؟
- ان هذه الارض كانت مزدهرة فيما مضى ، وانا اذكرهم
من ايام الطفولة ، وكان يمكن ان تصبح نشاط العمرار
والاستقرار ، لولا ان عوامل التقدم والتعمير قد جاوزتها
ويحطتها ، كما تكلفت الحرائق التي شبت اكثر من مرة
بالساقى .

فتمت قائلة :

- هذا شيء مروع يسع !

فقال الطبيب :

- واي شيء في الحياة يا عزيزتي اليس خلا من معالم
البشاعة والقيح ؟ .. بل ان الحياة ذاتها هي شيء كره
فاسد ، ولا تستحق ان تعاشي .. لكن اذا لم يكن يدرك
الحياة ، فلنقبلها على علائها ، وعلى فسادها ، وعلى بشاعتها
فقال المحامى في تبرم : ان لك فلسفة خاصة يا دكتور .

- اننى رجيل صريح صادق ..

فلم يتمالك مارتن ديل ان يادره قائلا :

- اتدري يا دكتور انى بدأت املك واتضابق منك ؟ ..

فتطلع اليه الطبيب ، وقال يخاطب المحامى :

- وهل تقر يا مستر ثورن راي صديقك الغامض ؟

فاجاب المحامى في غير لين :

- ان الواقع يصور نفسه بأبلغ مما تفصح عنه الكلمات .
فلا حاجة بنا الى توكيد قبحه .. فمثلا انى لم اخلق ذقا
منذ ستة ايام .. واليوم فقط غادرت منزل ، سلفستر هيووا
ثلث دفته ..

فهمت اليس قائلة :

- فدتك نفسى يا مستر ثورن .. ما السبب ؟ ..

فصم المحامى قائلا :

- ستعرفين هذا فى وقته يا آنسة .. فالامور مرهونة
بأوقاتها ..

فبسم الطبيب قائلا :

- انك لتظلمنا جميعا يا مستر ثورن اذ تقدم لابنة اخى
صورة لاسرتها بعيدة كل البعد عن الحقيقة وصحيح ان فينا
بعض القرابة والشذوذ .. لكننا اسرة عريقة اصيلة .. كما
تشهد بذلك صورة اليس الحسناء المليحة ..

لم تعقب اليس بكلام .. فقد بدا حمدا العم الذى لم يره
قبل اليوم لغزا غامضا فى نظرها .. ولعل باقى افراد
الاسرة لا يختلفون عنه فى هذا المقام

والحق ان الاسرة كلها مصابة بلوثة غريبة .. فقد كان
الاب محبوبا مدعوب العقل والرشاد واكبر الظن ان اخيه
سارة ، هي الان صورة مماثلة منه ، واية شاخصه باقية
.. اما زيجة العم المنعوسة « ميللى » ، فما على « اليس »
الا ان تلقى نظرة على الطبيب لكن توقع ان العرق دساس
وان الاناء يتضح بما فيه !

واما « مارتن ديل » فقد توجس من هذه الغامرة
المحبولة الغامضة ، واحس كان يدا جبارة عاتية تهبط لاساة
عنيفة قاهرة .. وزاده توجسا وتغورا ان راي معالم العمران
تتمحى وتلاشى من طريق السيارة ، فقد اختفت اعمدة
التليفون واسلاك البسوق ، ومعنى هذا انهم يستضيفون
بالشموع ، ولم يكن اشد من الشموع عنده كرها .
ذلك وما قتلت السيارة تمضي فى طريقها المقفر الوحش
الى بالقر والاخاديد ، تحت سماء متجهمة كاملة انحدرت

شمسها الى الافق الغربي باهتة كثيفة ، وفي برودة لاذعة
قارسة تنفذ حتى العظام .

وشد ما تنفس مارتن ديل الصعداء حين التقى الطبيب
ينعطف بالسيارة احر الامر يسرة في طريق فرعى ويقول لهم
ها قد وصلنا اخيرا ! .. لقد حلت في دارك باليس اهلا
وسهلا ! .

ولم يتمالك « مارتن ديل » حين آس لهجة المسخر
والتهكم التي لا يست كلمات الطبيب ان تطلع اليه مستخبرا
بيد ان يلامح وجهه ظلت على حالها من الرقة والعلوية
والعائلة . .

واقف الطبيب السيارة بين منزلين متواجهين قائمين
على جانبي طريق السيارات المفضى الى « جراج » عتيق ،
لمح مارتن ديل في داخله سيارة « ثورن » الابيقة اللامعة
.. وكانت المباني الثلاثة وحواليها الغابات المتشاككة كأنها
جزائر مقفرة منعزلة في بحر لحي متلاطم .
وقال الدكتور ريناخ في حارة :

— ان المبنى القائم الى اليسار يا اليس هو نصر العائلة
التاريخي .

وكان هذا البيت المؤلف من ثلاث طبقات مشير مربدا بفعل
عناصر الطبيعة ويتأثر حرائق الغابات حتى لقد كان في
شكله اقرب الى السواد .

وتطلع مارتن ديل الى الفتاة ، فرآها شاخصة الى البيت
منعددة اللسان ارتباعا وذعولا ، حتى لم يتمالك ان راح
يلعن في سره الحامي ان جاء بالفتاة الى هذه البقعة واستهدفها
لهذه المحنة القاسية .

وقال الدكتور ريناخ في خفة ومرح :
ان سلفستر مسماه « البيت الاسود » .. وهو ليس

بالجميل الصورة كما ترون ، ولكنه ضيق في القدم ، اذ
انشء منذ ثلاثة ارباع قرن من الزمان ..

ونعم ثورن تبرعا :

— « البيت الاسود » .. تسمية سخيفة ..

وقالت اليس همسا :

— اتقرر ان ابي .. وامى .. عاشا في هذا البيت ؟

— نعم يا عزيزتى .. وقد بناه جدك .. على انه انتهى
فيما بعد هذا البيت الاخر .. واستخدمته اقرب الى الانس
وادعى الى طيب الإقامة .. ابن ذهب هؤلاء الناس بحق
الشیطان !

وعبط الطبيب من السيارة متناقلا رفح الباب لابنة اخيه
.. وانحدر مارتن ديل من الناحية الاخرى رراح يتطلع
حواله مشربيا كما يفعل الحيوان البريء ، فرأى البيت الثاني
مزلما من طابقتين وقد شيد بحجارة بيضاء حال لوتها بفعل
الطبيعة الزمن .. وكان المساب الامامي قفلا والستائر
مسدولة فوق النوافذ ، ينبعث من خلالها ضوء نار مشموبية
وعلى حين غرة لمح وجه امرأة ملتصقا بزجاج احدى النوافذ
وسرعان ما اختفى .. بيد ان الباب ظل مغلقا ..

ويعم مارتن ديل شطر زملائه في الناحية الاخرى من
السيارة ، فألقى اليس واقفة قرب ثورن ، وكانما تلمس
الحماية في جوارده ، وسمع الطبيب يقول لها في مودة :

— انك ستقيمين معنا طبعاً ، ولنن تفضلتي البقاء وحدك
في « البيت الاسود » فهو خلوا من كل انسان ، وهو مثال
الاضطراب والفوضى .. بل هو بيت الموت كما تعلمين .
فقال له المحامي مؤمخرا :

— كف عن الكلام (..) الا قرى البنية السكنية تكاد تموت

رعباً ورهبة ؟ .. ام تحاول ان تنير الزعاجها لابعادها عن هنا .
فقالت اليس مذهولة : لاعادي ..
فقال الطبيب باسماء :

- الظاهر ان الاساليب المرحية في الكلام لا تروقك
يا ثورن .. الواقع يا اليس اني رجل خشن على الفطرة ، لكن
حسن النية سليم القصد .. وستجدين اسباب الراحة مهيأة
في البيت الابيض .
واردفت ضاحكاً :

- نعم « البيت الابيض » . فهكذا سمعته لحفظ التوازن
بين البيتين ؟
وقالت اليس في قلق دفين :

- ان كل شيء حافل بالعضوض والايهام .. فما هو
مستر ثورن ؟ .. تم لماذا لمثت ستة ايام في بيت ابي حتى
دفته ؟ . احسب ان من حقى ان اعرف التفسير اللازم ..
فعلق ثورن شفثيه وهم بالكلام ، لولا ان سبقه الطبيب
قاللاً :

- علمى بنا يا عزيزتى . والا جئنا بوجدا ..
فقالت اليس وهي تضم اطراف معطفها الرقيق :

- احب باصمء ان ارى داخل البيت .. حيث عاش ابي
وامى ..
فسارع ثورن قاللاً :

- ليس هذا من رايى يا انسة ..
فقال الدكتور ريناخ في رقة :

- ولم لا .. من الخير ان نفرغ نهائياً من هذه المهمة
.. وما زال ضوء النهار يسمج بالرؤية .. فاذا تم ذلك عدنا
ادراجنا واغتسلنا وناولنا الطعام الشهى الساخن وشعرنا

وشعرنا بلذة الوجود حقاً .. اظن ان المفتاح معك يا مستر
ثورن ..

ووقفت الفتاة تنتظر هادئة ساكنة وهي تحرج بعينها
السوداوين رفاقها الثلاثة .. فاذا المحامى صاحب الوجه
لطبق الفم قد زم شفثيه عن كل تعقيب .. وما لبث ان
اخرج من جيبه مجموعة من المفاتيح الكبيرة المصنفة واربع
احدها في باب « البيت الاسود » فدار في ضليل وصريير
فدفع ثورن الباب ، ونفذ الجميع الى الداخل ..
كان البيت كالتقير .. نفوح في الرجائه روايح كربة فاسدة
مرطبة ..

وكان اناقة نقيسا فيما عضي ، اما الان فقد علاه القدم
والبلى ..

وبلدت الحدران بتآكلة الطلاء كأنها وحة موقع كالح
وانتشرت الاقدار والفضلات في كل مكان ، حتى ليستبعد
الناظر ان يعيش في هذا المحر القدر آدمى له صفة الاناسى .
وتولى الدكتور ريناخ قيادة الفتاة في ارجاء البيت ،
فجعلت تسير معه طبيعة متعثرة وقد تجلى في نظراتها الرعب
والدهول ..

ولم يفر مارتن دليل كم لبثوا على وجه التحقيق في هذا
الطواف الكريه .. فما من ريب في انها كانت مهمة شاقة
كربة حتى لمن هو مثله غريب عن الممكن لا يمت له بسبب
.. وجعلوا يشقلون هنا وهناك صامتين ماخوذتين وكأنما
سوقهم قوة خفية غلابة .

وقالت اليس في صوت مختنق محتبس
- الم بتكفل احد باصمء بالعناية بايى ؟ .. الم يتقوع
انسان نوةً بـتنظيف هذا المكتن المروع ؟
فاجاب الطبيب وهو يهر كتفيه :

ان . اباك كان غريب الاطوار في شيخوخته يا عزيزي
ولم يكن يوسع احد ان يفعل حياله شيئا .. وربما كان من
الخير الا نخوض في هذا الموضوع ..

ومضوا في طوافهم تملأ التوفهم الروائح الكريهة الفاسدة .
وسار ثورن في الزهم وهو يراقب الطبيب عن كثب حتى
ليحصى عليه حركاته وسكناته .

واشرفوا في الطبقة الثانية من « البيت الاسود » على
غرفة النوم التي لفظ فيها سلفستر هيوز انفاسه الاخيرة
.. فاذا الفراش مشوش مضطرب والاعطية مبعثرة والتر
جثمان الرجل ظاهر للعيان ..

ولم تتمالك اليس وقد شاهدت هذه الغرفة المقبرة ان
راحت تسعل قهوا وطفقت تنفوس في الفراش القدر الذي
ولدت فيه .

وفجأة عرعت الى دولا ب صغير رأيت فوقه صورة كبيرة
في اطار مستندة الى الجوارب المصغر ووقفت برهة تطيل
التنظر اليها دون ان تمسها .. وما لبثت ان تسارلتها وقالت
في تروءة :

— هذه صورة أمي .. وانا الان مسرورة بمحيثي الى هنا
.. فقد كان امي يحبها اذن وقد ابقى صورتها طيلة هاته
الاعوام

فضمم ثورن قائلا :
— نعم يا آنسة .. وقد بدا لي انك ولا بد مستحوذ
على الصورة .

فقالت اليس : اني لم اكن امتلك سوى صورة متواضعة
لاي .. اما هذه الصورة فجميلة .

ورفعت الصورة بين يديها فخورة ضاحكة في غمرة هذا
الانفعال الشديد الذي انتابها ، فقال الدكتور ريتاخ متفهئا :

— ان والدك طالما جعل يتحدث في احاديث اباه عن
والدتك ، وعن حسناتها ..

فقالت اليس وقد فطمتها رعدة بسيرة :
— لو لم يترك امي غير هذه الصورة ، لكفى بها ثمرة طيبة
لرحلتى بن آجلتروا .

ثم اسرعت الى جانبهم وهي تقول في صوت اجس :
— لنخرج من هنا .. انا لا استريح الى هذا المكان ..
انه يشع روع ! .. اني .. خالفة !

وقادروا البيت سراعا في خطى متلاحقة وكانما يطاردهم
مطارد خفي .. واوصد ثورن الباب الخارجي بالفتاح في
عناية بالغة وهو يحدق في الر الطبيب .. بيد ان الدكتور
ريتاخ تباط ذراع الفتاة واتجه بها الى « البيت الابيض »
الذي فتح الان بابه واضيئت نوافذه

وقال مارتن ديل يخاطب ثورن في حدة وهما يسيران في
اتر الطبيب والفتاة :

— ثورن .. هلا زودتني بدليل .. باشارتها ! .. اني
في ظلام دامس ..
فضمم ثورن وقد بدا وجهه المرسل اللحية كالحذاء في
في ضوء الشمس الفاربية :

— لا يمكنني الكلام الان . لك ان تشبهه في كل انسان
.. وفي كل شيء ! .. سارك الليلة في غرفتك .. مارتن
اناشدك الله ان تكون على حذر !

فقال مارتن ديل عابسا : على حذر ؟؟
— اتحذر وكان حياتك في اشد خطر .. بل هي في خطر
اي خطر !

وبلغا غتية البيت الابيض .. فدلغا الى الداخل ..

الفصل الثالث

وقف مارتن ديل في غرفة جلوس رغبة متفادعة الاثان
تضطرم في مدقاتها تار مشوبة اجرت السماء في عروقهم
حارة بعد هذا القر الشديد الذي ثقلت وطاته عليهم .

وعن كتب منه راحت مدام ريناخ ترحب بالفتاة الوافدة
مقبلة معانقة . . وقد تفرس قبيها مارتن ديل غراها نعيمة
شاحبة تلوح على حياها الجاف امارات خوف دفين . . وقالت
الفتاة وقد تخلت عنها :

- لا بد الان تكوني متعبة منهوكة يا عزيزتي . . ثم اني اقدر
شعورك ايضا . . فحنن شبه غرباء في نظرك ! .
واذ وقع نظرها على الصورة التي حملتها الفتاة اردفت
مضطربة :

- آه . . اراك قد زرت البيت الثاني حال قدومك . .

فرد عليها الطبيب وقد زاد شحوب لونها :

- طبعاً زارته . . والان باليس ، اري من الخير ان تصعدى
مع ميللي ، لكي تعمل على راحتك .

فقالت الفتاة : الواقع اني اكاد اموت اعياء

ثم تطلعت حولها ، وما لبثت ان تقدمت الى المدفاة ووضع
الصورة التي بين يديها فوقها قائلة :

- هكذا . . هذا خير مكان لها . .

وقال الدكتور ريناخ : ارفعوا الكلفة يا سادة واخلوا عنكم
هذا التحفظ . . ديك . . تحرك ولا تقف هكذا جامدا . . ان
حقائب الانسة هينوز ما زالت في السيارة . .

فقد وقف عن كتب منهم شاب عملاق راح يتفرس في اليس
مستغرقا . . حتى اذا سمع كلام الطبيب اوما برأسه متبرما
خرج . . فغمقت اليس وقد تورد حياها :

- من هذا ؟ . .

فاجاب الدكتور ريناخ وهو يخلع معطفه ويتقدم الى النار
مصطلياً :

- هو ديك كيت ، تابعي الساخط المتبرم . . وسوف
تحدثه يا عزيزتي لطيف العشرة الا اذا استطعت ان تغلدي
الى ما وراء احابه الغليظ . . وهو يتولى شئون الخدمة في
البيت كما ذكرت آنفا ، لكي لا تدعى هذا الاعتبار يقف حائلاً
بينك وبينه ، فاننا في بلد ديمقراطي . .

- انه شاب لا غبار عليه . . والان استاذتكم جميعاً . .

وفي هذه اللحظة عاد كيت تحت حمل من الحقائب وضعه
السلم المتفرع من الغرفة ، فتبعته مدام ريناخ واليس واختفى
الثلاثة عن العيان . .

ويهم الطبيب شطر درلاب اخرج منه زجاجة من الشراب
فصب لنفسه كأساً اترعها في جوفه قائلاً :

هذه خير وسيلة للتدفئة . . ما راكم ايها السادة في
كاس شايها ، ثم اذهب بكم بعد ذلك الى غرفكم ؟ .
فهمز مارتن ديل رأسه قائلاً :

- شكراً لك . . اني وزميلي نفضل ان نغسل حتى
نسترد نشاطنا . .

فقال الطبيب ضاحكاً :

- ان لكم ما تريدون . . وان كنت ارجوا الا تطعموا
عندي في مسائل المدينة والتحضير . . قال بيتي خلوي
من الكهرباء والتليفون والمياه الجارية . . وانما استمد
حاجتنا من الماء من بئر خلف الدار . . فهي حياة على
الفطرة كما ترون . . ولكنها عندي خير من مظاهر
الحضارة الحديثة الوفاء . . والان علموا بنا . .

وسعد بهما الطبيب الي يهو لاذع البرودة حاملا شموعا
وثقبا ، فادخل ثورن غرفة تطل على مدخل البيت ، وذهب
بصاحبه الي غرفة اخرى جانبية راي فيها مارتن ديل
بدفأة كبيرة تنظف فيها نار حامية ، وعن كئيب منها
مفصل عتيق فوقه ماء بارد ، فوقف الطبيب لدى الباب
قائلا :

- ارجو ان نجد هنا راحتك الكافية .

واذا لم ينصرف الطبيب بعد ان اغتسل مارتن ديل ،
لم يعبا هذا به ، بل فتح حقيبته ليخرج ملايبه ،
فانكشف المسدس الذي جاء به ، فغمغم الدكتور ريناخ :
- ااعتاد انت ان تحمل سلاحك دائما يا مستر ديل ؟
فاجاب مارتن ديل وهو يدس المسدس في جيب بنظونه :
دائما .

فقال الطبيب وهو يعبت بدفته : بديع .. بديع ..

استاذك الان للاطمئنان على راحة ثورن .. واصارحك
انه رجل عنيد صلب الراي .. فلولا عناده وصلابته
لاقام معنا هادئا ستريجا في الاسبوع الماضي ، ولم
يحبس نفسه عنادا واصرادا في البيت القدر المجاور
لنا !

فغمغم مارتن ديل قائلا : ترى لم فعل هذا ؟ !

فحدجه الطبيب بنظراته ، ثم قال له :

- ارجو ان تنضم الينا تحت متى فرغت .. ان مسدام
ريناخ قد اعدت عشاء شهيا سيمعجبك ان كنت جائعا
مثل ..

واختفي الطبيب عن عينيه باسم .. ووقف مارتن
ديل برهة ينصت ، فسمعه يتخلف قليلا في نهانة
الردهة ، حتى اذا شعر من خطواته الثقيلة انه بهبط السلم

الي غرفة الجاوس بادر مسرعا الي باب الغرفة دلى اطراف
اصابعه لكي يتحقق من هذه الظاهرة التي لمحها لدى دخوله .
وقد صحت نظريته حقا .. فقد الفى القفصل منزعا من
مكانه ، وكانت آثار نزعة حديثة العهد . فلم يتمالك
ان عيس قليلا . على انه وضع مقعدا عتيقا خلف الباب ،
وانشا يفتش الغرفة .

فرفع الحشاياء المراتب) من فوق السرير الخشبي
وقتش تحتها باحثا مستطلعا .. وان لم يدر عم يبحث ..
وعنى يفتح الادراج جميعا .. كما رفع السجادة العتيقة بحثا
عن اسلاك تحتها ..

حتى اذا لم لم يفز من تفتيشه هذا بطائل يعم شطر
النافذة مغضبا ، فاذا الغابات الجرداء والسمااء الملبدة
المكفهرة تأخذ بصره جيشا نظرا .. اما البيت الاسود)
فلم يبد لعينه اذ كان قائما ، في الناحية الاخرى .

وراي الشمس المنقبة خلف السحاب تنحدر الي
مغربها .. وانقرجت السحب برهة عن قرصها فسطعت
اشعتها في عينيه حتى زاغ بصره او كاد .. وما عتمت الغيوم
الثقيلة بالثلج ان حجبها على الاثر ، ثم اختفت تحت الافق ،
وباتت الغرفة في ظلام متزايد ..

وجعل مارتن ديل يفكر في هذا القفصل المنزوع ..
فبدا له ان بدا عالمته في براعة وسرعة ، وقدر ان شخصا
راد من النافذة لدى وصوله وفعل ما فعل .. وذهب
يسائل نفسه : ترى افعلوا هذا ايضا بغرفة ثورن ،
وغرفة اليس ؟

وهبط مارتن ديل الي غرفة الجلوس ، فوجد ثورن
والدكتور ريناخ قد سبقاه اليها وانهمكا في الحديث

وسعد بهما الطبيب الي بهو لاذع البرودة حنلا شموعا
ونقابا ، فادخل نورن غرفة تطل على مدخل البيت ، وذهب
بصاحبه الي غرفة اخرى جليلة راي فيها مارتن ديل
بدفاة كبيرة تطل فيهما نار حامية ، وعن ثوب منها
مغسل عتيق فوقه ماء بارد ، فوق الطبيب لدى الباب ،
قالا :

- ارجو ان تجد هنا راحتك الكافية .

واذا لم ينصرف الطبيب بعد ان اغتسل مارتن ديل ،
لم يعا هذا به ، بل فتح حقيبته ليخرج ملبسه ،
فانكشف المسدس الذي جاء به ، فغمغم الدكتور ريشاخ :
- امعتاد انت ان تحمل سلاحك دائما يا مستر ديل ؟
فاجاب مارتن ديل وهو يدس المسدس في جيب بتعلونه :
دائما . . .

فقال الطبيب وهو يعبت بدقته : يدع . . . يدع . . .
استاذتك الان للاطمئنان على راحة تورن . . . واصارحك
انه رجل عتيد صلب الراي . . . فلولا عناده وصلابته
لاقام معنا هادئا ستريحا في الاسبوع الماضي ، ولم
يحس نفسه عنادا واصرارا في البيت القدر المجاور
لنا ! . . .

فغمغم مارتن ديل قائلا : ترى لم فعل هذا ؟ !

فحدجه الطبيب بنظراته ، ثم قال له :

- ارجو ان تنضم الينا تحت متى فرغت . . . ان مسدام
وريشاخ قد اشدت عشاء شهيا سيعجبك ان كنت جائعا
مثلي ! . . .

واختفى الطبيب عن عينيه باسم . . . ووقف مارتن
ديل برهة ينصت ، فسمعه يتخلف قليلا في نهاية
الزدهة ، حتى اذا شعر من خطواته الثقيلة انه يهبط السلم

الي غرفة الجلوس بادد مسرعا الي باب الغرفة على اطراف
اصابعه لكي يتحقق من هذه الظاهرة التي لمحيها لدى دخوله .
وقد سحت نظره حقا . . . فقد الفى القفل منزعجا من
مكانه ، وكانت آثار نزعة حديثة العهد . فلم يتمالك
ان عبس قليلا . على انه وضع مقعدا عتيقا خلف الباب ،
وانشأ يفتش الغرفة .

فرجع الحشايبا (المراتب) من فوق السرير الخشبي
رففتش تحتها باحثا مستطلعا . . . وان لم يدر عم يبحث . . .
وعنى بفتح الادراج جميعا . . . كما رفع السجادة العتيقة بعثا
عن اسلاك تحتها . . .

حتى اذا لم لم يفز من تفتيشه هذا بطائل بيم شطر
النافذة مغضبا ، فاذا الغابات الجرداء والسماء الملبدة
المكفهرة تأخذ بصره حيشما نظره . . . اما (البيت الاسود)
فلم يبد لعينه اذ كان قالما ، في الناحية الاخرى .

وراي الشمس المنقبة خلف السحاب تنحدر الي
مغربها . . . والفرجت السحب برهة عن قرصها فسطعت
اشعتها في عينيه حتى زاغ بصره اذ كاد . . . وما عتمت الغيوم
المنقلة بالثلج ان حجبتها على الاثر ، ثم اختفت تحت الافق ،
وباتت الغرفة في ظلام متزايد . . .

وجعل مارتن ديل يفكر في هذا القفل المنزوع . . .
فبدأ له ان يدا عالجه في براعة وسرعة ، وقدر ان شخصا
راه من النافذة لدى وصوله وفعل ما فعل . . . وذهب
سائل نفسه : ترى افعلوا هذا ايضا بشفرة تورن ،
وشرفة اليس ؟

وهبط مارتن ديل الي غرفة الجلوس ، فوجد تورن
والدكتور ريشاخ قد سبقاه اليها وانهمكا في الحديث

وقال الدكتور حين رآه :

- تعال يا مارتن وانضم اليها .. سنتناول الطعام
حالما نتول اليس .

وقال له ثورن : ان الدكتور ريناخ كان يحدثني الان عن
« ساره » عمة اليس فالظاهر ان حضور ابنة اخيها
قد اثار شديد انفعالها .

فقال مارتن ذليل وهو يجلس قرب المدفأة : احقا ؟ .
فقال الطبيب : الحقيقة ان اخي المسكينه مختلفة العقل .
طيقا لورائه العائلية .. على ان جنونها غير عتيف .. وان
كان من الحكمة ان يداربها الانسان ويلطفها .. ولا ريب
انها مفاجأة اخرى لليس ان تراها وهي في هذه الحال
غير الطبيعية .

فقال مارتن ذليل : انها لاسرة منكودة بهذا الجنون الوراثي
.. وقد بدأ جنون اخيك سلفستر في الوحدة والعيشة
القفرة .. فما هي لومة اختك من ابيك هذه ؟ ..

- ان سارة تنوح ان ابنتها ما تزال على قيد الحياة ..
بيع ان « اوليفار » المنكودة قد قتلت في حادث سيارة
منذ ثلاث سنوات .. وقد اثر هذا الحادث في نفس الام تأثيرا
شديدا .. ثم انها الان تنتظر بلهفة ابنة اخيها اليس ، وقد
يكون الموقف مربكا محيرا ..

وبعد صمت يسير قال ثورن : علا حدثنا يا دكتور
ريناخ عن هذا الفتى المدعو كيث ؟

فاجاب الطبيب : لا تفكر في امره يا ثورن .. فتحن ندعه
وشأله .. وهو شاب ساخط على الدنيا وعلى المجتمع
.. آه .. ها قد جاءت عزيزتنا ! .. ما ابيك ! ..
ما ابيك ! ..

وعطبت اليس انصر سورة واجلس طلعة حتى لقد
بدت في عيني مارتن ذليل مجردة من قبعتها وعطفا وكانها
شخص اخر .. وقالت ردا على حفاوة عمها في صوت متغير
قليل :

- شكرا لك يا عمه .. لكن اخشى ان اكون اصعب
برد شديدا .

فقال الطبيب على الفور : عليك بالويسكي وبعض
الليمون الساخن .. ثم اقتدى في طعابك وعجلى
بشامك ! .

- اصارحك يا عمه اني اكاد اموت جوعا ..

- اذن فكلي ما شئت واضربني بنصبي ليني كطبيب شرعي
الحاظ .. اما حان وقت ذهابنا الى المائدة ؟

فاجابت مدام ريناخ في وجل : نعم .. ولن نتنظر
ساره او كيث ..

فلما سمعت اليس هذا التصريح فارقتها بعضي
شاشتها .. على انها تنهدت وتابعت مساعد الطبيب
وتقاطر الجميع الى غرفة الطعام .

واذ فرغوا من العشاء وتوضوا عن المائدة عائدن الى
غرفة الجلوس ، عالج المحامي ان يتخلف مع اليس وهمس
في اذنها قائلا :

- لست بخير ؟ .. اكل شيء كما يحب ؟

فاجابت الفتاة في هدوء :

- الواقع اني اقرب الى الخوف مني الى شي آخر ..
ولا تحسني بلهاء يا مستر ثورن ، ولكن كل شيء هنا
محوط بالغموض والشكوك .. وانني انسى الان لم اجد
الى هنا .

فمضمّن ثورن قالوا : أنى اهدد شعورك .. ومع ذلك
لم يكن يد من جيئك .. ولو وجدت سبيلا اخر لوفرت
عليك بشقة الحضور .. لكن لا ريب لك ان تختارنى
الاقامة فى ذلك الجحر البشع المروع المجاور لهذا
البيت .. المعروف « بالبيت الأسود » ! .

فقلت الفتاة وهى ترتعد : كلا ! . كلا .

— نم انه لا يوجد فندق قريب بسافة أميال .. هل
اجترأ احد من هؤلاء الناس على ..

— لا .. لا . وكل ما هنالك اهم غرباء فى نظرى ..
واحسب ان الشعور الذى يداخلى هو من تأيسر الوهم
والبرد القارس المأموس هنا .. هلا اذنت لى بالذهاب
الى اقراش ! . ان غدا لناظره قريب ، ومجال الحديث
متسع مسود ..

فربت ثورن على يدها ، فابتسمت مبتنة شائرة ، وقلت
وجنة الدكتور ريشاخ تم صعدت الى مخدعها مع زيجة الطبيب .
وما كاد الرجال يستقرون حول المقاعة حيث اخفوا
يدخنون حتى سمع وقع اقدام فى الجانب الخلفى للدار .
فالتفت الدكتور ريشاخ قائلا :

— لايد ان يكون كيت .. ترى اين كان ؟

وظهر الشاب العملاق فى مدخل الغرفة مبتسلا الخداء ،
فحيا فى اقتضاب وتبرم كعادته ، وبم شطر الموقدة
يدفء يديه الكبيرتين المحمرتين .. فسأله الطبيب :

— اين كنت يا ديك ! . اذهب وتناول عشائك .

— انى تعشيت قبل جيئك ..

— ربما الذى كان يشغلك ؟ ..

فاجاب الشاب فى قحة ادهش مارتن دبل صدورها ن
خادم :

— كنت احتطب لتهيئة الوقود للمدفأة ، وهو شيء لم
تفكر انت فيه ! .. ان التلوج تساقط .
— التلوج ! .

وعرج الجميع الى النوافذ الامامية ، فاذا التلوج تنهال قطعاً
كبيرة كانت تملأ حلية رغم الظلام وما لبث الطبيب ان خاطب
تابعه قائلا :

— انك لم تتعرف بمستر دبل .. اقدم اليك ديك كيت
يا مستر دبل .. هيا يا بنى ودع عنك هذه الكتابة .. فان
بلواك هى قرط احساسك وكثرة تفكيرك .. لتشرب جميعاً
.. ان الكتابة داء سريع السدى ! .

وانتقل الطبيب الى اللولاب الجانبى ، فاخرج طائفة من
القناني المختلفة وانهمك فى مزج الاشربة وهو لا يكف عن الكلام
وقد خامرت صوته رنة انفعال يسيرة لم تخف عن سمع مارتن
دبل حتى ذهب بسال نفسه عن معناها وعسا يدور حوله من
الغاز معميات لا سبيل الى تحديدها بالكلام وان كانت ملموسة
بالس ! .

واذ اخذ كيت بوزع الكؤوس تبادل مارتن دبل وثورن
نظرة معنوية .. كانت نتيحتها ان كليهما تنجاول كاسين
اثنتين وأبى ان يزيدهما .. اما كيت فراح يشرب فى الحاح
وكأنما يحاول ان ينسى شيئاً يثقل على نفسه .

وقال الدكتور ريشاخ وهو يستقر فى مقعد وثير :

— هذا جميل .. كم تكون الحياة بحتملة المبددة ما بعدت
منها العراة وتها فيها الدفاء والشراب .

فقال ثورن : يؤسفنى ان اخيب ظنك يا دكتور وافسد
عليك اللذات .

— خيرا ان شاء الله .. خيرا ان شاء الله !

فاه الطبيب بهذه الجملة واقد نحى عنه زجاجة الويسكى وشبك يديه فوق بطنه ولمت عيناه الضيقتان المحمرتان فنهض ثورن من مكانه واتجه الى المدفأة حيث يقف وليا اياهم ظهره ، وراح يقول :

— اننى جئت الى هنا يا دكتور ريناخ للدفاع عن صالح الأنسة هيوز وحدها .. وقد توفي ابوها سلفستر هيوز فى الاسبوع الماضى فجأة .. توفي وهو ينتظر الاجتماع بابنته التى لم يرها منذ ان طلق امها ، اى منذ نحو عشرين سنة ..

فقال الطبيب فى صوته الفليظ دون ان يتلمصل :

— هذا صحيح ..

فاستدار ثورن فى مكانه قائلا :

— دكتور ريناخ .. انك كنت طبيب سلفستر الخاص طيلة العام السابق لوفاته .. فما هو تشخيص حالته ؟

— انه توفي بسبب زيف فى المخ ..

فقال المحامى الى الامام قائلا فى تودء :

— هذا ما قررته فى شهادة الوفاة .. لكنى غير مقتنع بانك ضررت الحقيقة !

فراح الطبيب يحدجه برهة ، وما لبث ان ضرب على فخذه الكبيرة وقال هادرا :

— يدب .. عظيم ! .. انت رجل خضب الخيصال يا مستر ثورن !

ثم اثفت الى مارتن ديل مشرق الاسارير واردف قائلا :

— سمعت هذا الكلام يا مستر ديل ! ان صدقتك تهتمنى صراحة بالقتل .. فما ابدع هذا وما اطرفه .. ابقتل ريناخ

الخاء ١٩ .. ما رأيك فى هذا يا ديك ؟ .. ان مسيدك يتهم

دارتكاب جريمة القتل العمد ! ..

فقال ديك كيث مؤمجا :

— هذا كلام مضحك يا مستر ثورن .. ربما اظنك تعتقد

واؤمن: به آبت نفسك .

فقال المحامى : سواء اعتقدت ان لم اعتقد فهذا شئ و تاوى

.. ولا ينغى الاحتمال الذى اشرت اليه ولا يتقضه .. لكن ما

يعينى فى الوقت الحالى هو المحافظة على مصالح اليس هيوز

اكثر من عنايتى بمسألة القتل ان صحت .. ان سلفستر

هيوز قد مات ، وسواء لئى اكان موته طبيعيا ام بفعل فاعل

.. لكن اليس هيوز ما زالت على قيد الحياة ..

فقال ريناخ فى رقة : والنتيجة ؟ ..

فضمف ثورن قائلا : النتيجة ان وفاة الاب فى الوقت

الذى توفي فيه امر غامض يبعث على التساؤل ويشير

التفكير ..

بوخيم صمت طويل الامد راح الطبيب فى خلاه يرشف

كاسه .. وما لبث ان وضع الكأس واتهد قائلا :

— ان العمر قصر انها السادة ، وهو امن من ان نصيبه

فى مناوشات سطحية .. فلنطرق اذن صميم الموضوع ..

ولنتقدم الى الموقعة الاساسية بشجاعة .. واتى اقرر

لكم ان ديك كيث وثمان عندى ، ولنا ان تتناقش ابراه

بحرية ..

واردف الطبيب باسمنا :

— انى اراك يا مستر ديل تجهل الموقف .. اليس كذلك !

فضمف مارتن ديل دون ان تحرك فى مكانه : وكيف

تعلم هذا ؟

فاجاب ريناخ ولم تنهب ابسامته :

- عجباً لك ؟ . ان ثورن لم يبرح (البيت الاسود) منذ دفن سلفستر . وهو لم يتلق ولم يرسل رسالة ما طيلة حبه الاختيارى فى الاسبوع الماضى . . . وفجر صباح اليوم تركنى على رصيف الميناء وتحدث تليفونيا مع مجهول . . . وجئت انت بعد فترة قصيرة . . . واذا كان غيبابه عنى لم يجازز دقائق معدودة . . . فظاهر من هذا انه لم يجد من الوقت الا فسحة للافضاء اليك بمعلومات مفصلة . . . ولا يسعنى بعد ذلك يا مستر ديل الا ان اهتلك على سلوكك هذا اليوم ، فقد كان مثالياً رائعاً . . . تعال فظاهرى يخفى تحته جهلاً مطبقاً .

فقال مارتن ديل : انت عالم نفسانى . . . فوق انك طبيب .
وفجأة قال ثورن : ان هذا كله خارج عن نطاق الموضوع .

فقال الطبيب المدين فى كتابة :

- بل هو فى صلب الموضوع . . . والان اسمع لى يا مستر ديل ان الخصم لك الموقف . . . فان اخى من ابنى ، سلفستر رحمه الله ، كان شحيحاً بخيلاً . . . ولو استطاع ان يحصل معه الى القبر ما كان يمتلك من ذهب وان يطعمن الى بقاءه معه ، لفعل .

فقال مارتن ديل عن شىء من الاستغراب : ذهب ؟ . . .

- لك ان تدعشنى يا مستر ديل ، لكن هكذا كان طبع اخى . . . فلما ان عجز ان ياخذ ذهبه الى القبر معه . . . قام بالخطوة التالية المنطقية . . . فانه اخفاه . . .

فقال مارتن ديل : ان هذا الكلام اقرب الى السهولة والدجل .

فقال الدكتور ريناخ مشرقاً متهللاً :

- وقد اخفى ذهبه الخسيس فى (البيت الاسود)

- والآنسة (اليس هيوز) ؟

- مسكينة . . . انها ضحية الظروف . . . فان سلفستر لم يفكر فى امرها قط الا مؤخراً حينما كتبت لمن لعدن تقول ان اخر اقرباء اها قد توفى . . . كتبت الى صديقنا ثورن المحامى للدعاية بعد ان ارشدها اليه بعضهم . . . ولعلك ترى ان اليس لم تكن حتى تعلم ان والدها على قيد الحياة . . . دع عنك مكان وجوده . . . وقد استطاع ثورن ببراعته ان يهتدى اليها ، وان يقدم الى سلفستر رسائل ابنته وصورها ، وتولى منذ ذلك الحين مهمة ضابط اتصال الطرفين . . . وكم كان موفقاً فى هذا حقاً . . .

فقال المحامى فى جفاء :

- هذا الشرح لا لزوم له . . . فان مستر ديل يعرف

فقال الطبيب باسماء :

- انه لا يعرف شيئاً ، بدليل اصفائه الى قصتى .

والتمت الى مارتن ديل واسترسل فى عدوبيته :

- واقدر لك يا مستر ديل ان سلفستر تشبث بوجود

ابنته على قيد الحياة كما تشبث الغريق بجبل

النجاة . . . ولعلى لا اذيع سرا اذا قلت ان اخى قد اصبح فى

عوسة وجنونه يرتاب فى اسرته تصور ا ويشك فى ان لها

مارب فاسدة حبال ثروته .

— وهذه وصمة شنيعة طبعاً !

— ابدعت في وصفك .. والان .. فان سلفستر قد اخبر ثورن في حضوري انه قد حول ثروته منذ ابد الى ذهب .. وانه قد اخفى هذا الذهب في مكان ما في « البيت الاسود » ، وانه ان يكشف احداً بسر المكان الا ابنته اليس الذي قرر ان تكون وريثته الوحيدة .. فهل رايت ؟

واجاب مارتن ديل :

— مفهوم ..

— على انه توفي لسوء الحظ قبل وصول اليس .. فهل من عجب يا مستر ديل اذا اساء ثورن لنا الظنون وراح يكيل لنا الاتهام ؟

فقال ثورن بعنف وقد لورد وجهه :

— هذا تجسيم للواقع .. انما كان من الطبيعي ، محافظة على مصالح موكلتي ألا ابرح المكان واترك الذهب مخبئاً في مكان ما دون حراسة ولا رقابة ..

فازمها الطبيب براسة قائلاً :

— طبيعي ..

فغمغم مارتن ديل قائلاً :

— الا ثورن انما نجعل من الحبة قبة ، واننا نتطاحن من اجل فار .. ان حيازة الذهب هنا انتهاك للقوانين الدولية .. فيقرض انكم واجدون هذا الذهب .. الا تصادره الحكومة ؟ ..

فاجاب ثورن :

— هذا موقف قضائي معقد يا مارتن .. لكن ليس لنا

ان نعالجه قبل ان نُعثر على الذهب فعلاً .. واذن فان جهودى ..

فقال الدكتور ريناخ باسمنا :

— وانها لجهود موفقة حقاً .. اتدري يا مستر ديل ان صاحبك كان ينساق خلف ابواب موصدة محكمة ، وقد تسلم بالمدى والخناجر ؟ يا له من ظريف ؟ ..

فقال المحامى في اقتضاب :

— انى لا ارى رايتك .. واذا اصررت على ان تمضي في هذا التهريج ..

فقال الدكتور ريناخ : ونعود الان الى اتهاماتك يا ثورن .. فهل عرضتها للتحليل ؟ .. من تنهم يا عزيزى الفاضل ؟ .. عندك الضعيف ؟ .. اؤكد لك انى رجل روحانى زاهد ، وان المال لا يستهوينى في قليل ولا كثير ..

هل تنهم سارة ، اختى من ابى ؟ .. انها مخلوقة محطمة تعيش في عالم من الاوهام .. وقد بلغت من الكبر عتياً فلن تصمر طويلاً .

فبقى بعد ذلك زوجتى الغاضلة وصديقتنا الشاب ديك كيث .

فاما « ميللى » .. فهى امرأة ساذجة لا تعنى بشيء في الحياة .

واما ديك .. آه ! .. انه دخيل على الاسرة .. وربما بلغنا النقطة الحساسة .. فهل تنهم ديك ، يا ثورن ؟

وضحك الطبيب .. فلم يكذب يتم ضحكته حتى وقع شيء

خارق في مثل البرق .. فقد نهض كيث من مكانه واهوى
على زجاجة الشراب فطوحها مستهدفا رأس الطبيب حتى
لقد صاح المحامي وتقدم الى الامام خطوة بحركة غريزية .

بيد ان الدكتور ربتاح كان في غنى عن كل دفاع خارجي ..
فقد أمال رأسه الى الخلف كالافعى فلم تصبه الضربة .. وبلغ
من عنفها انها افقدت كيث توازنه حتى ترنح في مكانه ..
وافلتت الزجاجية من يده فاستقرت في المدفأة خطايا
متناثرة وقد سالت بقية الشراب التي بها فكان لها في
الذهب ضرام ازرق اللون .

وقال الطبيب غاضبا :

- ان هذه الزجاجية عمرها مائة وخمسون سنة ! ..
ذلك وقد انتصب كيث في مكانه جامدا موليا اياهم ظهره
العريض وهو يلهث ..

والواقع ان هذا المشهد بدا في عيني مارتن ديل اقرب الى
المشاهد المسرحية منه الى الحقيقة الماثلة .. وراح يتساءل :
اتراهم يتصنعون ؟ .. اتراهم قد اعدوا تمثيل هذا الدور لينا
بينهم ؟ .. لكن لاي غرض ؟ .. ما هي غايتهم من تكلف
الخصام والفتعال العنف ؟ ..

ونهض مارتن ديل اخر الامر قائلا :

- افضل الان ان اذهب الى القرائس قبل ان تسوا
العقبي .. واني لشاكر لكم ايها السادة هذه السهرة
اللطيفة المتعة .. آت معي يا تورن ؟

وذهب يرتقى السلم يتبعه المحامي الذي بدا في مثل اعياها

.. وافترقا في البهو البارد فمضى كلاهما الى غرفته دون ان
يقوه بكلمة .. ومن تحت كان السكون عميما ..

وتذكر مارتن ديل اخيرا وهو يخلع ملابسه ان تورن كان
قد همس في اذنه من قبل انه آت لزيارته ليلا لكي يفضي اليه
بعض هذه القضية الغريبة .. فذهب في سكون الى غرفة
تورن .. بيد ان المحامي كان يغط في سبات عميق ..

وكذلك عاد مارتن ديل الى غرفته وهو يجرد قدميه
من فرط التعب .. فعند الصباح يحمد القوم السرى ..
وما ان بلغ سريره حتى استسلم للرقاد .

الفصل الرابع

استيقظ مارتن ديل ، فبدا له على القصور انه في حالة
غير طبيعية ، وان لم يستطيع تحديد مظاهرها سوى ما شعر
به من صداع في رأسه وخدر في لسانه .. وانظر الى
ساعة يده ، فاذا هي الساعة الا دقائق .. ورفع رأسه
عن الوسادة في جو الغرفة القارس ، فاذا اشعة الشمس
الباهتة تصافح عينيه .. وفيما عدا هذا كله فقد القى
الغرفة على حالها لم يتغير بها شيء بابها مغلقا كما تركه ..
فارتد الى مكانه تحت القطاء .

لكن سرعان ما نفذ الى سمعه صوت غريب .. صوت
تورن وهو يصرخ صرخة كأنها الوثولة صادرة من خارج
البيت .

وان هو الا كلمع البصر حتى وثب مارتن ديل الى النافذة
عاري القدمين ، بيد ان تورن لم يكن قائما في ذلك
الجانب .. وكذلك اتعل الحذاء واختطف المسدس من

جيب بنظونه وهرع الى البهو يقصد المسلم شاهرا
مسندسه في يده .

وشاهد في طريقه الدكتور ريناخ يظل براسه من العرفة
المجاورة مستفسراً عما حدث ، فأجاب مارتن ديل وهو
مندفع في طريقه لا يلوي على شيء :

- لا اعرف .. سمعت ثورن يصرخ ..

وما كان يفتح الباب الامامي حتى وقف في عتيته فاغر
الغم .

فقد شاهد ثورن في ملايسه الكلملة واقفا على قيد امتار
قليلة من الدار وهي يحماق في شيء لم يشيئه مارتن ديل ،
وقد ارتسمت على وجه المحامي البطح آيات الرعب والفرع .

وعن كئيب منه جلس ديك كيث الترقصاء وقد تدلى فكه
في بلاهة واتسعت عيناه روعة وذهولا ..

وجاء الدكتور ريناخ فزاح مارتن ديل من طريقه وقال
مزججرا :

- ماذا جرى ؟ .. ما حدث ؟ ..

لكن ثورن وقف في مكانه وقد صدر من حلقه صوت
اشبه بالمشرجة ، ذلك وقد اكتست الارض والاشجار ثوبا
فضيا من جليد ، وامتلأ الجو كله بنتف الثلج المتساقطة ..

واذى راي ثورن القادمين يتحركان نحوه بادرهما
صوت اجش غليظ :

- ففا مكانكما (. لا تتحركان بحق الرحمن ! .

فشد مارتن ديل الضغط على مسدسه وحاول ان يزيح
الطبيب من طريقه ، بيد ان هذا الرجل البدين وقف دونه
كالسند المنيع .. بينما دنا ثورن منهما خطرات وهو
يصرخ فيهما :

- انظرا الى .. هل انا في حالة طبيعية ؟ .. هل ترواني
جننت ؟ .

فاتهره مارتن ديل قائلا :

- املك نفسك يا ثورن ! .. ماذا جرى لك ! ؟ . لست
ارى بك شيئا غير عادي .

وصاح الدكتور ريناخ في تابعه :

- ديك ! .. هل جننت انت ايضا ؟ .

فحجب الشاب العملاق وجهه فجأة بيديه ، ثم انزلهما
ونظر امامه مرة اخرى .. وقال في صوت مختنق :

- لعل الجنون قد مسنا جميعا ! .. هذا اشد ما ..
انظر بعينيك ! .

فازاح ريناخ في هذه اللحظة من مكانه ، فسبقه مارتن
ديل الى ناحية ثورن الذي كان يرتعد .. وانضم اليهما
الطبيب على الاثر .. ووقفوا يحدثون ..

وما كانوا والله بحاجة الى التحديق وانعام النظر .
في فقد بدا لهم ما بدا واضحا جليا لا لبس فيه ولا خفاء .. ولم
يشمالك مارتن ديل ان احس بشعر راسه يقف ، وايقن
في تلك اللحظة ان هذه الظاهرة الخارقة شمسي مع الاحداث

منذ ثلاثة ارباع قرن من الزمان ، وقد اضحى الآن ولا وجود له ! .

وقالت اليس في صوت ضعيف متخاذل وهي في مكانها لدى النافذة العليا :

- انه غير موجود .. غير .. موجود ..

وقال تورن وهو يدنو منهم :

- اذن فاننا لم افقد صواحي ، ولم يصبني جنون ! لقد ذهب المنزل ! ..

فقال مارتن ديل في صوت خرج غليظا برغمه :

- هذا هو الظاهر ..

وقال الدكتور ريناخ وقد اهتزت اوداجه :

- هذا شيء لا يصدق ! ..

- هذا شيء لا يصدق ! .. بل هو مستحيل باديا وعلميا ! .

وراح تورن يدور حوله مشدوها قانطا .. وجعل كيث يامن ويصخب ، ثم انشأ يركض في طريق السيارات المغطى بالثلج مجها الى مكان البيت المختفي وقد بسط ذراعيه امامه كالاعمى .. فاستوقفه مارتن ديل قائلا :

مكانك ..

فوقف الشاب العملاق وهو يقول مزجرا :

- ماذا تريد ؟

الشاذة الغريبة التي انسها بالامس في هذا المكان ! .

وجعل الدكتور ريناخ يلهث وهو واقف في مكانه يحلق امامه مشدوها وهو يطرف بعينيه .. وفتحت نافذة في الطبقة الثانية من (البيت الابيض) ، فاذا اليس هيموز تطل من نافذة غرفها واذا هي تصرخ كما فعل غير واحد منهم قبها ، ثم اذ بها تلزم السكون ذهولا .

فقد كان (البيت الابيض) الذي خرجوا الان منه قائما ما تلا لا شك فيه ، ولمسونه بأيديهم ويرونه رأى العين ..

اما فيما وراء هذا البيت ، حيث كان (البيت الاسود) قائما ، وهو البيت الذي ربطه مارتن ديل بقدميه بغسرب اسس - البيت الذي كانت تفوح فيه الروائح الكريهة الفاسدة .. البيت المؤلف من جدران واخشاب ونوافذ ومداخن .. البيت الذي توفى فيه سلفستر هيموز ، والذي اعتصم فيه تورن مسلحا بالمدي والخنجر طيلة اسبوع ..

البيت الذي راوه جميعا ولمسوه وطافوا به ..

هذا البيت لم يبق له من اثر ! ..

فلا جدران .. ولا مداخن .. ولا اسقوف .. ولا اطلال .. ولا حطام .. ولا شيء !!! .

لا شيء الا الفضاء المنبسط تكسوه الثلوج ..

فقد اختفى (البيت الاسود) في الليل ! .

الفصل الخامس

وقف مارتن ديل في الثلوج ينظر ويقلب النظر الى البقايا الخاوية التي قام عليها بالامس بيت ذو ثلاث طبقات شديدة

فدس مارتن ديل المسندس في جيبه وانضم الى كيث قائلا :
- لا ادري بالضبط .. هناك انقلاب كبير ! .. اما ان
الكون قد فقد نظامه .. او اننا قد اصبنا بالجنون ..
الظن ان النظام الشمسي قد انحرف عن مداره في هذا
الكون وذهب يدور على غير هدى في جوار الفضاء ؟ لا ريب
اننى اهلى واخطى في الكلام !
فصاح كيث قائلا :

- انت تعلم خير منى .. اننى لن ادع هذه المسألة الغريبة
تنال من عقلى ..

- لقد كان هنا بالامس بيت قائم في هذه الرقعة ، و
كان لانسان ان يقنعى بانها غير موجود في مكانه .
حتى ولا عيسى ! .. ان احدهم نومتنا مفضطيسيا !
انك فعات هذا يا دكتور ! نومتنا مفضطيسيا ! ..

فقال الدكتور ريناخ وهو يحلق شطر البقعة الخاوية
ماذا تقول ؟

فبتف كيث غاضبا : اقرر لكم ان البيت قائم في مكانه
وان كنا لا نراه ..

فتنهذ مارتن ديل وجثا على ركبتيه في الشاح الناصب
الرقيق وراح يتبش فيه باصابعه المقروءة فانكشروا
الحصى من تحته .. فقال دون ان يرفع راسه :

- هذا طريق السيارات .. الا ترون معى !

فقال كيث متهيجا : هو طريق السيارات او طريق جهنم
.. انك قد جنت مثلنا ! .. هو طريق السيارات ما

هذا شك .. الا ترى الجراج بعينى واسك ؟ لم لا يكون
طريق السيارات ؟ ..

فاجاب مارتن ديل عابسا وهو ينهض :

- لا ادري .. انى اكاد اتعلم كل شىء من جديد ..

لعله نظام « الجاذبية » ! .. لعله لا يطول بنا الوقت حتى
نظير نحن ايضا في الفضاء ! ..

فقال ثورن في انين : رحماك يارى ! ..

وقال كيث متبرما ضجرا :

- اؤكد لكم انه (خداع النظر) ! ..

وداح الطيب يقول : هذا انجب العجب ! .. بيت يختفى
وكانما ذاب ! ..

وجعل يضحك ضحكة مختنقة لا اثر فيها للمرح ..

فقال مارتن ديل في تبرم :

- ان البيت قد اختفى ولا ريب في هذه الحقيقة ..
اما انت يا كيث فما اظنك تؤمن بخرافة التنويم المفضطيسي

هذه ! .. على ان اختفاء البيت لا يحترى .. وانما يحترى
كيفية اختفائه .. انها اقرب الى .. الى .. سخفا لهذا ! انا

لم اؤمن في حياتى قط بالخرافات ..

وهبطت اليس الى باب (البيت الابيض) مرسلتا الشعر
مستمتلة بمعطف فوق رداء نومها ومن خلفها مدام ريناخ

قد لاحت عليهما امارات الدهول ..

فغمغم مارتن ديل مخاطبا ثورن :

اشغلون بالكلام ولا تدع لهن سبيلا للتفكير حتى لا يزدن
اضطرابا .. اتنا سنصاب بالجنون حتما اذا لم نظاهر
على الاقل بالعقل ! . كيث ! . على بمكنسة ! .

ومضي مارتن ذيل في طريق السيارات فدار حول البيت
المختفى وهو لا يرفع نظره عن البقعة التي كان فيها ..
ربعه الدكتور ويناخ بعد تردد .. وانضم ثورن الى المرأتين
.. اما كيث فقد سار حتى اختفى خلف (البيت الابيض)

اخرجت الشمس خلف السحب الملبدة .. ولم ينقطع
تساقط الثلوج دراكا ..

وفتح مارتن ذيل باب (الجراج) واطلس في داخله ..
فراى سيارة ثورن في مكانها حيث شاهدها بالامس ، وعن
كتب عنها سيارة ريناخ التي جاء بها من نيويورك بعينه
ان قادها كيث الى داخل الجراج فيما يظهر ، وكلتا السيارتين
في حالة من الجفاف ظاهرة ..

فاطلق باب (الجراج) وعاد الى طريق السيارات حيث
وانه ثورن بالمكنسة قائلا :

— ماذا انت فاضل بها ؟ . اتركها ؟ .

فانتهره الطبيب ، فقال لمارتن ذيل ضاحكا :

— دعه وشأنه يا دكتور .. فانه يعيننا على التسلية ..

هاهنا هي ..

وتنازل المكنسة وتقدم الى الرقعة البيضاء التي قام
عليها البيت المختفى .. فوضع قدميه فوق الجليد

مترددا كما يسوق ان تصظم بالبيت المسحور ..
حتى اذا لم يصادف شيئا غير الهواء البارد الالذع ضحك
ضحكة بسمية واخذ يكس الثلج عن وجه الرقعة طبقة
طبقة وهو يفحصها باثم عناية .. فلما اكتشف سطح
الأرض اخيرا دون ان يجد في طبقات الثلج اي اثر لاقدام
بنيرية قال لصاحبيه :

— انها لظاهرة شيطانية ! . اصارحكم اننى غلبت على
امرى ..

بوتركما مارتن ذيل متجها الى الطريق العام المختفى
تحت الثلج حتى غاب عنهما في منعطف من الطريق لتجديه
الاشجار المكسوة بالجليد .. حتى اذا توسط الطريق
الذي كان يمتد في قوس مستطيل اخذ بعمل المكنسة
من جديد لازالة طبقات الثلج عن سطح الأرض .. فلم
تبد له سوى النار مجلات السيارة التي جاءت بعدما عن
نيويورك ..

واذ ذلك سمع صوتك ذلك كيث يقول له :

— عم تبحث .. عن الذهب ؟ ..

فنهض لارتن ذيل في ثوده حتى واجه الشاب العملاق
قائلا :

— اذن فقد بدا لك ان تتبعنى .. لكن معذرة .. فانت
لم تفعل هذا الا بأمر الدكتور ..

فاجاب الشاب دون ان تختليج ملامح وجهه :

— اتبعك ؟ . هذه فكرة جنونية ..

وعاد اندراجهما الى البيت . وهارتن ديل يقول :

- سمعتك تتحدث الان عن الذهب .. بديع .. لقد كان لمة ذهب في ذلك البيت .. اما الان فقد اختفى البيت وتلاشي .. وقد نسيت امر الذهب في انشاء الهرج الذي اقترون بسببها اختفاء البيت .. اما الان فاني اشكرك يا مستر كيت ان عدت الى ذاكرتي موضوع الذهب .

الفصل السادس

جلست اليس ميوز منزوية في مقعد قرب المدفأة وهي شديدة امتناع الوجه ، وراحت تقول :

- ماذا حل بنا يا مستر ديل ؟ وماذا نحن فاعلون ؟ .. هل كان ابل حلما من الاحلام .. ألم تدخل ذلك البيت وتفقده وتلمس محتوياته .. انتي شديدة الخوف والانزعاج ؟ ..

فقال مارتن ديل باسمها : صبرا يا آنسة . . فسئصل الى الحقيقة حتما . . والحقيقة بنت البحث كما يقولون ؛ ، وجاء كيت لتزويد المدفأة .. وما لبث ان جمع شظايا الزجاج ودس الكتلة الخشبية في الموقدة ..

وصوب الدكتور ريناخ نظرة الى زوجته المتزعجة ؛ فانسحبت على الاتر . فقال مخاطبا مارتن ديل :

- ما رأيك يا مستر ديل ؟ . ام ترى المنز عويضا عليك ؟

فضمم مارتن ديل : لا لفر يستحصى على الحل ، اللهم الا لفر الخليفة .. خبوني يا دكتور ، هل من سبيل لقلب المعسومة من الخارج ؟ .

- لا سبيل الا ان تطير !

وقال كيت وهو مثمك لدى الموقدة :

- ولا يوجد تليفون .. ثم انك رأيت حالة الطريق بعينيك ، ويستحيل عليك ان تقود سيارة في زوايح الثلوج ..

وقال الدكتور ريناخ ضاحكا :

- لو كانت هناك سيارة حقا !

فقال مارتن ديل : ماذا تعنى ؟ .. في الجراج سيارتان ..

- سيارتان بغير وقود !

وقال تورد فجأة وكان جامدا في مكانه ذهولا :

- ثم ان سيارتي بها خلل .. وقد تركت سائقي الخاص في المدينة حين ذهبت اليها في المرة الاخيرة .. وليس بها سوى قليل من البنزين .

فقال مارتن ديل وهو يتقر بأصابعه على ذراع المقعد :

- بالنحس ! . واذن قلن يمكن ان نستقدم احدا من العالم الخارجي لكي يقرر ان كنا مسحورين او غير العالم الخارجي لكي يقرر ان كنا مسحورين او غير مسحورين .. كم تبعد اقرب نقطة معسورة من هنا يا دكتور ؟

- اكثر من خمسة عشر ميلا .. واذا بدا لك يا مستر ديل ان تقطع المسافة سيرا في هذه الزوايح الثلجية فلنجرّب .

فقال مارتن ديل : وهكذا نحن معزولون عن كل اتصال بالمالم .. فيالله من توقف بديع !

قالت اليس وهي تزيد اقترابا من المدفأة :

ولما غابت العجوز عن الانظار قال الدكتور ريناخ لاهسا وهو يجفف عرقه :

- انا آسف لما حدث .. فهذه احدى النوبات التي تعتربها .. وكنت اعلم ان هذا سيحدث لها بعد ان اهتمت بقدم اليس وابدت فضولا غريبا .. فهناك شبه المحوظ .. وليس لاحد ان يلومها ..

فقال اليس في صوت خافت :

- انها .. مخيفة .. مستر ديل .. مستر ثورن هل يتحتم ان تبقى هنا ؟ انى افضل الاقامة في نيويورك .. ثم ان البرد هنا شديد قظيع ..

فلم يتمالك ثورن ان هتف قائلا :

- والله انى على استعداد لاجتياز المسافة سيرا ! .

فقال الدكتور ريناخ باسمها : وتركون الذهب الذى خلفه سلفستر تحت رحمتنا ؟ .

فقال اليس في قنوط : انا لا اريد ميراث ابى .. بل لا اريد الان الا ان ابتعد عن هذا المكان ثم .. ثم انى أستطيع العمل وتدبير امر معاشي ..

فقال مارتن ديل : لا مفر بين ان تشددى يا آنسة وتصبرى حتى يتيسر لنا ايجاد وسيلة للخروج من هنا ..

فغمضت اليس وهى ترتعد : أصبت ..

- والان اريد يا ثورن ان تقص على كل ما تعرفه عن هذه القضية ، وخصوصا ما يتعلق بالبيت الاسود) فقد تجد فى تاريخه بعض ما يهدينا ..

انشأ ثورن يتكلم فى جفاء وتحد وهو لا يفئا يحدج الدكتور ريناخ بناظره ..

فقرر ان شكوكه اثرت لأول مرة بتأثير سلفستر هيوز سنة ..

ولما كاتبته اليس توكله فى قضيتها استطاع بتحرياته ان يهتدى الى مقر سلفستر وان يتصل به .. فنقل

الى هذا الوالد الشيخ رغبة ابنه فى لقائه ، واذا الاب يتحمس لهذه الفكرة ويبدى اهتماما متزايدا للاجتماع بفتاته ،

قد بدا المحامى من مسلكه انه كان يعيش فى خوف اشد لخوف من اقربائه المقيمين فى البيت المجاور : البيت الابيض .

فقال الطبيب فى دهشة : خوف منى ؟ .. انك لتعلم انه اما كان يخاف الفقر ، لفرط شحه وتقتيره ..

فتجاهل المحامى هذا الاعتراض ، واسترسل فى سرد بياناته ، فقال ان هيوز طلب اليه ان يستقدم اليس الى

أمريكا فورا لكي يوصى لها بممتلكاته قبل مماته .. وابى الرجل اباء تاما ان يرشد عن مخبأ الذهب الا لفتاته وحدها

حتى لا يقف اقرباؤه على سره وقد قرر انهم باتوا يطعمون فيه منذ قدمهم الى المكان ..

فقال مارتن ديل :

- هلا اخبرتنى يا دكتور ، لهذه المناسبة ، متى جئتم للاقامة فى هذا البيت : البيت الابيض ؟

منذ نحو سنة .. لعلك لا تصدق هذيان مجنون كان على عتبة القبر ؟ .. والواقع انه لا سر فى مجيئنا للاقامة هنا .. فقد قدمت الى سلفستر منذ عام بعد فراق طويل

هذا كلام لا يطابق المنطق .. ان صح ما قلت ، فعلام
بحر البيت الاسود واختفاؤه !

فاجاب المحامى فى شراسة :

لا اعلم .. وانما اعلم ان الامور هنا تسير سيرا غامضا
بيها ، وان السر كل السر فى ابتسامه هذا الطبيب الكاذبه
.. ان من واجبي يا آتسه ان احذرك من هؤلاء الناس ، فهم
ذئاب بشرية ..

فقال مارتن ديل فى عدوية :

لنقصر كلامنا على صلب الموضوع .. لقد كنا
لنتداول فى مسألة البيت الختفى .. فهل يوجد هنا تصميم
(البيت الاسود) ؟ ..

ولمنا اجاب الطبيب سلبا اردف مارتن ديل :

من اقام فى (البيت الاسود) غير سلفستر هيسوز
وزوجته ؟

فاجاب الدكتور ويناخ مصححا :

بل زوجته .. فان سلفستر تزوج مرتين .. لعلك
لا تعرفين هذه الحقيقة يا عزيزتى اليس لى امقت نبش
هذه المضايح القديمة ، لكن مادعنا بضدد الحقيقة
فلا مغر من بيانها كاملة .. ان سلفستر عامل والدة اليس
شر محاملة ..

فقاتت اليس فى صوت خافت : هذا ما فهمته

الواقع انها كانت امرأة ابنة لم تصطبر على معاملته ..

اجز نستختك مع البساعة

بعلمها اللص الظريف

ارسلين لويين

فان الاعتداد القادمة حافلة باروع ما كتبه

الكتاب الفرنسى

موريس لبلان

يد أنها بعد ان حصلت على خلافتها النهائي وعادت
انجلترا ، اشتد بها التأسر ، فماتت على الاثر .. اذ
اطلعت على نيا وفاتها في صحف نيويورك .

تغمضت العيون :

- توفيت وانا طفلة ..

- وقد صمد سلفتر بعد ذلك ، ولم يكن في حيا
جنون ظاهرة الى اغواء ارملة غنية تزوجها وجاء بهر
للاقامة عنا .. وكان لها ولد من زوجها الاول .. وما زال
سلفتر بزوجه الجديدة حتى نزلت له عن ترويض
المسيمة ، وسرعان ما قلب لها ظهر المجن واخذ يعذبها
حتى اختفت المرأة ذات يوم وبعبها ولدها .. وقد علمت
مصادفة بعد اعوام من هذا الحادث ان المنكودة توفيت
في حالة فقر يدقع .

فقالت اليس وعى تنظر اليه في كرب :

وقال ثورن مزيجرا :

- الفصل والذي .. هذا ؟ ..

- كف عن هذا الكلام ! فان الغضا تكاد تصعق !
يا ضلعة هذا كله بموضوع (البيت الأسود) ؟ .

فاجاب الطبيب في دعة :

- ان مستر ديل طلب كافة البيانات ..

فقال ثورن في عتف :

- كل ما يهمننا من البحث هو الله جعلت تراقبيني منه
ان جئت الى هنا .. وكنت تخاف ان تتركتني وحيدى .

ولو دقيقة .. بل انك عهدت الى كيث في استقبالي
بمسارك في كلتا زيارتي الى هنا ، لكني احرسنى ولا ريب
ثم انك تحريت الا انفردي سلفتر لحظة واحدة .. وما لبت
الرجل ان انتابته تلك الغيبوبة التي لم يقف منها ابدا ..
فعلام كل هذه المراقبة الدائمة والسهر المتصل ؟ ..
الواقع انك هيات لى كافة العوامل لكن ارباب فيك وفي
سأليك ! ..

فقال الدكتور ريناخ ضاحكا :

- اتهم ما شئت .. لكن هذا لا يمنع ان نتناول افطارنا
واو كانت الاخيرة قلبا فوسين او ادنى ! .. بلالى !
وكذلك دعا زوجته لاعتماد طعام الافطار ..

الفصل السابع

استيقظ ثورن وبيدا وهو يشعر بخضر خفى والفرقة
فارسة البرد يطلوع الصبح تبدو من النافذة .. وامتدت يده
الى ما تحت النخدة وهو يقول في لهجة الوعيد :

- قفا حيث انت ! ..

فاجابه صوت لارتين خافتا :

- اذن فعندك مسكن انت ايضا ! .. هذا انا يا ثورن ! ..
جئت للتشاور معك .. وهذه المناسبة ترى انه لا يتعذر
التسلل الى الشرفة ! ..

فجلس ثورن بعد ان اعاد المسندس الى مكانه ، وقال
متبرعا :

بالذا تقصد ؟ ..

— ارى فقل غرقتك قد اختفى من مكانه ، كما اختفى قفل
غرقتى وقفل غرفة اليبس .. وكما اختفى (البيت الاسود)
وذهب سلغستر ..

فقال ثورن وهو يلف اللحاف حوله وقد اشد شعوره
بالبرد :

وبعد يا مارتن ؟

فأشعل مارتن ديل سيجارة وقال اخيرا :

— الواقع ان هذه قضية غريبة يا ثورن .. قضية امتزجت
فيها الروحانيات بالماديات اغرب امتزاج .. انى كنت
الآن استطلع ، وقد يملك ان تعلم ان صديقنا العملاق الشاب
قد اختفى .

— كيف اختفى ؟

— انى رايت فراشه فوجدته لم يتم فيه قط ..

— وقد لاحظنا ايضا انه لبث غائبا سواد امس ..

— هو ذاك يا ثورن .. ان صديقنا العملاق الساخط
المثيرم يقبب ويختفى فترات منظمه .. فاين يذهب ؟ ..
فغمغم الحامى :

— انه لا يمكن ان يذهب بعيدا فى هذه الزوايح الثلجية
الشنيعة .

— ان مجال التفكير متسع مسود .. ثم ان صديقنا ريناخ
لم يتم فى فراشه الا لفترة محدودة .. فهل حسرونا معا ، او
منفردين ؟ .. انها قضية شيطانية ..

فقال ثورن وهو يرفعه بردا :
— انى عجرت عن فيسها ، واكاد انقض يدى منها ..
لم تفعل شيئا منذ ان جئنا الى هنا .. ثم هناك ذلك اللغز
المحير ، اعنى اختفاء (البيت الاسود) .
فتنهذ مارتن ديل ونظر فى ساعته فالفأها الساعة ..
فرضا ثورن عنه القطاء استعدادا للتزول بع صاحبه ..



خرج مارتن ديل بعد الافطار وحده لكي يلقى نظرة اخرى
على مكان البيت المختفى على حد زعمه . فاذا الثلوج قد تراكت
حتى بلغت نواقد الطبقة الارضية ، والاشجار اختفت تحنها او
كادت وقد شق امام مدخل البيت الابيض طريق محدود ما لبث
الثلج ان غطاء من جديد ..

ووقف مارتن ديل برهة يستنشق الهواء الصافى ويسرح
الطرف فى الرقعة الخاوية التى قام عليها (البيت الاسود)
.. وما عم ان رفيع ياقه سترته والقمير فى الثلوج المتساقطة
متجها الى الغابة ..

وكان سيرا شاقا لم يخل من اللة ، فقد شعر بالدناء
بعد حين ، والدنيا من حوله بيضاء ناصعة ساكنة خابدة .
خابدة .

وكان المشهد احقل بالجمال والمتاع حين اقضى الى
الغابة التى اكتست ثوبا غريب الاشكال والالوان ..
واذ وجد امامه آثار اقدم واضحة المعالم لم يطمسها الجليد
سنة بعيدا وكانها تفضى الى غاية معينة ، راح يتبعها مستطلعا
مستغصيا وقد حدثته النفس بقرب كشف جديد .

بيد انه لم يتقدم بعيدا حتى استحال هذا المسالم
والناصف النياض في عينيه الى ظلمة دامسة ، وشعر بوجبه
بلامس جليد الارض المرطوب على نحو غريب ، ثم لم يعد يعي
شيئا ..

فتح مارتن ديل عينيه .. فاذا هو ممدد على ظهره فوق
الجليد وقد انحنى فوقه ثورن بهزه صائحا :

- مارتن ؟ .. هل انت بخير ؟ ..

فجلس مارتن ديل وهو يلحق شفطيه ، وقال متأوها :

- الى حد ما .. ماذا اصابني ؟ .. اني شعرت كأن
ساعة انقضت فوق رأسي ! .. وجعل يتحسس مؤخرة
رأسه ، ثم عالج النهوض مترنحا وهو يقول :

- لا بأس يا ثورن .. يبدو اننا وصلنا الى حدود الارض
المسحورة ! ..

فنظر اليه المجابى في قلق وقال له :

- لعلك لا تهدي ؟ ..

فتطلع مارتن ديل حوالبه باحثا عن آثار اقدام كان يتوقع
رؤيتها ، بيد انه لم يجد سوى آثار قلمى ثورن ، وبدا له
انه لبث اغلبا عن رشده فوق الجليد زمنا غير يسير .
وقال اخيرا في الهجة ذات مضى :

- معنى هذا انه مخطور علينا ان نتجاوز هذه المنطقة ،
والا فالويل لنا ! .. معدرة يا ثورن . لعلك انقلدت حياتي ؟ ..
فأجاب ثورن وهو يجيل نظرة في أرجاء الغابة :

تطلب الاعداد السابقة

من مغامرات ارسين ثورن

وسلسلة طرزان

من مكتبة

رجب

بالعشماوي خلف هيئة بريد القاهرة

- لا ادري .. ولا اظن .. على اني وجدتك معدا هتس
وحدك .. وقد تملكتني اشد الجزع اذ حسبك فارا
الحياة ..

فقال مارتن ديل وهو يرتعد :
- لقد كان هذا شيئا قريبا الاحتمال .

- بعد ان ذهبت عنا صعدت اليس الى غرفتها وقد
ربناخ انه سيغفو قليلا ، فلم اجد احد الا ان اقوم بجر
خارج المنزل .. ولما تذكرت تنبعت آثار قدميك
كانت باقية في الجليد ، ثم وجدتك اخيرا .. حين
انت .. اما الان فان الانار ذهبت وانطمست ..

فقال مارتن ديل :

- هذه ظاهرة غريبة ! .. فلو اننا اراء قوة خفية
غامضة لما تنزلت الى هذا العدو ان الرخيص ..

فغمغم ثورن قائلا :

- نعم .. هي الان حرب سافرة مكشوفة .. ومهما يكن
عدونا الخفي فانه لن يقف عند حد .

- بل هي حرب رحيمة .. فقد كنت تحت المطلق رحمة
العدو الخفي ، وكان يوسع ان يقضي علي في سهولة
تامة و ..

وكف عن اتمام حملته حين رن في سمعها صدى مقذرف
تأري بعيد ، فهتف مارتن ديل :

- هو صادر من البيت .. هلم بنا ..

وقال ثورن شاحب اللون وهما يشقان طريقهما في
الثلوج :

- اني نسيت مسدسي تحت الوسادة في غرفة النوم ..
الضن ..

قدس الرتن ديل يده في جيبه قائلا :

- لما انا فمسدسي معي .. بالشيطان ! .. ان الرصاص
قد انتزع منه ! ..

وكف عن الكلام وقد اطبق شفتيه وضغط على اسنانه ..

واذ بلقا (البيت الابيض) شاهدا الطيب وزوجته
والغناة يدورون متزعجين ، وهتف الطيب حين رآهما :

- اسمعتما الصوت ايضا ؟ ان جهولا اطلق رصاصة !

فقال مارتن ديل : اين ؟ ..

- لا ادري .. فقد كنت نائما حين صدر الصوت ..
وقلت بيللي انه ربما صدر من خلف البيت ..

- واين كيث ؟

- لا اعلم اين ذهب ..

ويغم مارتن ديل شطر الباب الخلفي وفتحه .. فرأى
الثلوج خارج الدار ملساء لم تظرفها قدم انسان .. حتى اذا
عاد الى غرفة الجلوس استقبلته اليس باذية الانفعال وراحت
اول في حرارة :

- لست ادري الام تبقى في هذا البيت المروع .. اني

وجدت ما فيه الكفاية يا مستر لورن ولا بد ان تذهب بعيدا عنه فوراً! .. لن أبقى فيه لحظة واحدة!

فقال لورن في كرب اليم وهو يأخذ يدها:

- الواقع انه لا احبالي من هذا يا آتسة .. لكن الا تتر

أما مارتن ديل فلم يسمع بقية الحديث ، بل ارتقى السلم بسرعة وعرضي من فوره الى غرفة لورن ففتحها وهو الهواء .. وما لبث ان دنا من الفراش وهو يتنفس ابتسامة ذات مغزى فأخرج من تحت المائدة مسدسا عتيق الطرس فحصى خزائنه فألقاها خالية .. وفيما هو يرفع فوهته الى أنفه اذ قال له لورن لدى الباب واقد جاءت معر الغتاة:

ماذا وجدت!

فاجاب مارتن ديل وهو يلقي المسدس جانبا:

- خيرا .. فنحن الان ازاء حطائق مادية ، لا خيال ولا اوهام .. هي حوب كما قلت يا لورن .. وقد اظن الرصاصية من مسدسك ، فان فوهته ما تزال دائمة ورائحة البارود لم تذهب عنها .. ثم ان الرصاص قد نثر منه ..

فقالت اليس وهي تتأوه:

- لكن ما معنى هذا!

- معناه ان هناك من ضايقه ابتعادنا عن البيت فتوسل بهذه الخدعة لاحادنا اليه .. ان الرصاصية كانت تحذيرا وخدعة في نفس الوقت ..

فتمالكك اليس فوق فراش لورن قائلة: العنى الشا .. فاجاب مارتن ديل: نعم .. فنحن اسرى منذ الان .. اسرى لا يجوز ان يتجاوزوا حدود السجن .. ترى لاي

الظهور والنظير دون جديد الا من تساقط الثلج .. وظهور بيت حوالى الظهور وهو على عهد من السخط والتبرم .. ولم يستطع مارتن ديل ان يفوق النوم في ليلته لفرط ما اجهد ذهنه في التفكير ملتصبا بتدليل هذه المعضلة المحيرة .. حتى اذا اتصف الليل شعر بدافع خفي يدفعه الى الخروج ، فتسلل الى البهو البارد الحالك الظلام حيث راح يتلمس طريقه في جهد ومشقة .. وفجساة عشرت قدمه في السجادة فكاد يهوى على الارض لولا ان ارتطم بالجدار ..

على انه لم يكذ يستعيد توازنه حتى سمع صرخة اورة صعدت مكتومة خافتة من ناحية غرفة اليس .. وكانت الصرخة تشف عن اشد الجزع والتخاذل حتى لم يتمالك لورن ديل ان وثب شطرب باب الغرفة وهو يفتش في جيبه عن التقاب ..

وفي اللحظة التالية وقف في مدخل الغرفة والعمود مشعل بيده .. فوقع نظره على اليس جالسة في الفراش انطواء حول كتفيها وعيناها تلعبان في الضوء اليسير .. ساعد الدكتور ريناخ في كامل الملابس واقفا امام دولاب به معدودة الى درج كان اخذا في نثر محتوياته ..

وقال لورن ديل والضوء يتراقص:

- ارجو ان تلزم مكانك يا دكتور . ان مسدسي قد
رصاصه ، لكنه ما زال صالحا كأداة للضرب ذريعة ..

ودنا مارتن ديل من ، بالذمة فوقها مصباحا قبل
النقاب ، فأشعل عودا آخر وأضاء المصباح ثم
مكاته لدى الباب ..

وقالت اليس همسا : اشكرك ! ..
- ماذا جرى يا آنسة ؟ ..

فأجاب الفتاة : لا .. لا اعلم .. اني لم استرح في
واستيقظت مند برهة عندما سمعت صوتا في الممشى
ثم دخلت انت .. بارك الله فيك ..

- اني سمعتك تصرخين ..
- افعلت هذا حقا ؟ الى .. ما معنى هذا يا حبيبي

ماذا تفعل في غرفتي ؟

فارتدت يد الطيب عن الدرج واغلقه واعتدل في
وقد لاحظت في عينيه امارات البراءة واجاب قائلا :

- ماذا افعل يا عزيزتي ؟ . الواقع اني ما جئت الا
اطمن على انك بخير بعد ان رايت اضطرابك في النهار
اصفحي عنى ان كنت ازعجتك ..

فتنهت مارتن ديل قائلا :

- ليس هذا من البراعة في شيء يا دكتور .. بل
ادنى الى التحفظ ، وهو ولا ريب واليد المفاجأة والارباك
ان الانسة هيوز لم تكن موجودة في الدرج مهما يكن شخص

الذي نطمئن عليها فيه ! . هل نيك هذا الرجل سوء
الانسة ؟

- كلا .. ولو انه لمسني من الظلام لمت حتما ..
فقال الدكتور ريناخ في استياء : يافه من اطراء بديع !
فقال مارتن ديل : اذن عمن كنت تبحث يا دكتور ريناخ ؟

فاستدار الرجل اليدين حتى واجه الباب بجانبه الايمن
واجاب ضاحكا :

- اني القيل السمع في اذني اليمنى .. طابت ليلتك
يا انيس .. ارجو لك احلاما هنيئة .. هلا سمحت لي بالمرور
يا سيدتي ؟ ..

ورقفت مارتن ديل يتفرس في الطيب حتى غاب عن
الانظار .. وما كاد الباب يفتلق حتى قالت الفتاة :

- استخفك بالله يا مستر ديل ان تذهب بي من هنا
وتهدا .. انك لا تقدر بلع حزعي من كل .. كل هذا ..
كيف تحدث هذه الامور هنا لا لسنا بين قوم عقلاء يا مستر
ديل .. وسوف نصاب حتما بالجنون اذا بقينا هنا اكثر
من هذا القدر فهل تذهب بي ؟

فجلس مارتن فوق حافة الفراش ، وسألها في رقة :

- انت شديدة الاضطراب الى هذا الحد يا آنسة ؟
فأجابت في صوت خافت : بل اني شديدة الرعب ..

- اذن فافعل عدا كل ما يمكن . مع ثورن .. انه
خبرني ان سيارته بها كمية محدودة من البنزين ..

فدستقلها الى حيث يبلغ البترول . ثم تقطع باقي المسير
سرا .

فنهظرت اليه بعينين يظل منهما الجرع : وقالت
- اتظنه .. بتركنا نذهب ؟

- من لا
- عدونا الخفى ، مهما تكن صفته

فنهض مارتن ذبل وهو يقول باسما :

- سنجتاز هذه العقبة متى ظهرت لنا .. والان امر
ان ننالى قسطا من النوم . فان ايماننا يوما شاقا غدا
- اتظن اننى .. انه ..

- دعى المصباح مضاء ، وضعى مقعدا تحت مقبض ال
بعد خروجى .. وهذه المناسبة ، هل يوجد فى حياض
شراء يمكن ان يطعم الدكتور ريناح فى احده .

- هذا امر حيرنى فى الواقع ! .. ولا استطيع ان اتص
وجود مثل هذا الشيء .. فانا فقيرة يا مستر ذبل
ولا املك اكثر من ملابسى التى جئت بها .

- الا توجد لديك رسائل قديمة ، او وثائق ، او تذكارات
- ليس عندى غير صورة عتيقة لأمى !

- آه ! . ما اظن الدكتور ريناح عاطفيا الى هذا الحد
والان طاب ليلك .. لا تنسى المقعد .. ولا تخافى ش
قط .

وما كاد مارتن ذبل يعود الى غرفته حتى وجد نورا
فى النظاره مرتديا جلباب نوم عتيقا .. فبادره قائلا :

- آه ! الاشباح تدرج وتطوف ! . هل جفاك النوم انت
صا !

واجاب المحامى الشيخ مرتعدا : وكيف النوم فى هذا
البيت الجهنمى الاعمى ؟ .. اراك يادى المرح

فجلس مارتن ذبل وقال وهو يشعل سيجارة :

- لا مرح ، بل نشاط ! سمعتك تتقلب فى فراشك منذ
دقائق .. فهل جد ، يا اخرك من غرفتك فى هذا البرد ؟

فاجاب المحامى وهو يندرج الثرقة : لا شيء .. مجرد
قلق عصبى .. اين كنت ؟

فأخبره مارتن ذبل بما كان . واردف قائلا :

- ان ريناح هذا شخصية عجيبة فذة ! . لكن لشدع
الاعجاب جاتبا .. والمهم اننا سنضطر الى التخلي عن هذه
القصة ولو مؤقتا .. ومع انى كنت ارجو .. لكن كفى ..

لقد وعدت الفتاة المنكودة .. وستفاد البيت هذا .
- لكنى لموت بردا فى الطريق ؟ ياها من فكرة بديمة ! .
لكنها مع ذلك خير من البقاء فى هذا البيت المروع
الكريه .

ثم تقطع الى مارتن ذبل فى فضول قائلا :

- لا تسعنى الا ان اصارحك بخيبة امل فىك يا مارتن ..
فان دهاؤك وحيفرتك ؟

فأجاب مارتن ديل وهو يمز كتفيه :

- أنا لم أزم قط أنني ساحر أو عالم بالغيث ! فإن ما حدث هنا فهو السحر بعينه ، أو إحدى المعجزات .. وليس أفكر أنه من العار أن نتخلى عن القضية وخصوصاً في هذا الوقت .

- في هذا الوقت لماذا تقصد ؟

- اصالحك يا ثورن أنني قضيت شطراً من بهاري أفرد زناد الفكر في هذه القضية .. وإذا كان حلها النهائي يتبين لي بعد ذلك فإنه باب قريباً مني .

فقال المحامي وقد فغرفاه : تعنى أنك ..

فقال مارتن ديل : الواقع أنها قضية رائعة فريدة في باب .. بل لعليها أروع وأعجب قضية عرضت لي .. ولو أنني كنت من أهل التقوى والتدين .. لكن لا لزوم لهذا الكلام .. والقضية رغم شدوها تنلخص في هذه الكلمات .. فتجاءلوا أراء لثروة ذهبية خبأة في بيت .. ولا يبيت البيت .. يخفى .. فإذا أردنا إيجاد الثروة ! فعلينا إيجاد البيت أولاً .. واعتقد ..

فقاطعه ثورن قائلاً : لا أستطيع أن أقول أنك قمت بسر في هذا السبيل ، أكثر من تلك الحركات المشعوذة التي فعلتها بمكسة كيث ! الحقيقة أنك لم تفعل أكثر من الجأول والانتظار !

- صدقت .. الانتظار .. فالانتظار هو التعميدة .. الرقبة التي ساستخرج بها روح البيت الأسود .

وحسب ثورن أن صاحبه يهزل أو يمزح ، يسد إليه الغلام جادا كل الجدا ، ولم يتمالك أن هتف به قائلاً :

- ما هذا الكلام الفارغ ؟

فنهض ديل قائماً وقال وهو يرت على منكب المحامي :

- عد إلى فراشك يا صديقي .. فإني لن تصدقني إذا أخبرتك .

- بك أنني استحطفك بالله أن تخبرني يا ديل .. فإني سأفقد عقلي إذا لم أقف على تفسير هذه القضية عاجلاً .

فنهض مارتن ديل قائلاً :

- لو أخبرتك لضحكت مني وسخرت بي .

- ما بي من ميل إلى الضحك والسخرية .

- والحقيقة أن القضية ليس فيها ما يضحك .. وأقد قلت منذ برهة أنني لو كنت من أهل التقوى والتدين لودت أيماناً وصلاً بعد الذي حدث في الأيام الثلاثة الأخيرة .. لكنني من أهل الذنوب والخطايا ! .. ومع ذلك ، فإني أرى في القضية « قوة » سماوية .

فقال المحامي من مجراً : ما أرى إلا أنك أقرب إلى التمثيل منك إلى الجدا ! .. لعلك تجسر أن تقول أنك رايت يد العناية الربانية ؟ .. في هذه القضية .. لا تكفر يا رجل ، فما رأنا على حظ من الإيمان !

فغمض مارتن ديل قائلاً : يد العناية ليس هذا بالضبط

يا ثورن .. اذا قدر لهذه القضية ان تحل ، فلن تحلها يد ..
بل مصباح ..

- مصباح ! ! مصباح ! !

- مصباح رباني ! .. اني شئت هذا التعبير -

الفصل الثامن

اسفر اليوم التالي قائما متوجها كسابقه . وما يرحن
الثالوج تتساقط دراكنا وكانما السماء تنقطر ناعا

وسلخ مارتن ديل شطرا كبيرا من النهار في محاولة اصلاح
سيارة ثورن .. فلم يوفق الى غايته الا وقد حل عصر
اليسوم ..

وانه لكذلك اذ بدا له كيث واقفا بسباب الجراج وفي
كلتا يديه (صفيحة) كبيرة ، فبادره مارتن ديل قائلا :

- اراك عدت اخيرا الى عالم الانس بعد غيابك المتكرر
في عالم الارواح ؟

فلم يعد كيث ان قال بهدوء :

- اذاهب انت الى جهة يا مستر ديل ؟

- طبعاً .. هل في نيتك اعتراض ؟

- ان هذا يتوقف على طبيعة الجهة التي تذهب اليها .

- واذا اخبرتك بوجهتي ؟

- لتكن ما تكون .. فانك لن تخرج من هذه الارض حتى

اعلم وجهتك ..

فقال مارتن ديل باسمها :

- تعجبنى صراحتك يا كيث ! .. لا ياس .. سأربح
سمرك .. انني وثورن عالمان بالانسة هيوز الى نيويورك ..

- اذا كان ذلك فلا اعتراض عندي .

فغرس مارتن ديل في مجيب الشاب العملاق : فاذا
البيد والعلق باديه في اساربره ..

وما لبث كيث ان وضع (الصفيحتين) على الارض قائلاً :

- ولك ان تتوقع بهذا البنزين ..

- بنزين ! .. من اين جئت به ؟

فتجاهل كيث هذا السؤال ، وقال :

- اراك اصطلحت سيارة ثورن .. لقد كنت في غنى من
هذا التعب ، اذ كان بإمكانني اصلاحها ..

- ولم ام تفعل ؟

- لانه لم يسألني احد ..

ودار العملاق على عقبه واختفى ..

وقد لبث مارتن ديل برهة عابسا .. وما عثم ان صب
البنزين في خزانة السيارة وادار محركها وتركه دائرا ثم
عاد الى البيت فقصده الى غرفة اليس التي كانت لذي
النافذة ، فلما رآه هتفت قائلة :

- انك اصطلحت سيارة مستر ثورن يا مستر ديل ؟

فقال مارتن باسمها : اني وفقت اخيراً .. هل اتممت
استعدادك ؟

- نعم ! .. وانا الان احسن حالا وشنخ على اهبة الرحيل ..

لقد رايت ، مستر ميت يحيى بالبنسزين .. فيالها من مكره
منه .. والحقيقة اني لم اكن اعتمد قط ان مثل هذا الشايف
اللطيف ..

وتورد عيناها ولعت عينها ، وغيرت مجرى الحديث قائلة :
- انظن الرحلة ستكون شاقة ؟

- قد يكون السير في الزوايح الثلجية صعبا ، لكن السيارة
قوية متينة البنيان .. واذا ساعدنا الحظ ..

وامسك مارتن ديل فجأة عن اتمام كلماته وقد سمرن
عيناه في السجادة العتيقة التي تحت قدميه وقد بدن
في نظرائه امارات الدهشة ، حتى لقد سألته الفتاة :

- ماذا جرى يا مستر ديل ؟

ترقع مارتن ديل عينيه واجاب وهو يتنفس من اعماق
رئتيه : ماذا جرى ؟ لا شيء .. الدنيا بخير والكون
يسرى في نظائره ..

ونظرت الفتاة الى السجادة ، فلما لبثت ان قالت في رلة
الفرح : آه ! الشمس ! .. ان الثلج قد انقطع يا مستر
ديل .. وهذه هي الشمس تقرب امامنا ..

فقال مارتن ديل في نشاط متقد : قد حان الوقت ايضا ..
وستسير فوراً ..

وتناول حقائبها وسار الى مغزته لكي ياخذ حقيبةه وهو
يصفر على نحو غريب ..

وقفت اليس تودع اصحاب البيت في مرح وكأنه لم يحدث
شئ غير عادي .. فتركت حقيبة يدها على الرف الى جانب
صورة امها المكسرة وعانقت مدام ريناخ والمعجوز سارة
وابتسمت للطبيب صفحا .. ثم ارتدت من فورها الى الرف
واخذت حقيبةها وصويت الى كيث الكاشف البغال
نظرة غامضة وهزلت الى الخارج مسرعة الى حيث كان ثورن
جالسا في السيارة يادى البشاشة والبهجة ..

وتبعها مارتن ديل متندا فجلس الى مقعد القيادة وادار
المحرك ، فصاح الدكتور ريناخ وهو لدى الباب :

- اعرف الطريق ؟ در بيننا في نهاية هذا الطريق
طريق السيارات) .. ثم سر ابعنا بلا انحراف .. وستصل
الى الطريق الرئيسي في نحو ..

وخاب صوته في ضجة محرك السيارة التي انسابت
بين اشارات الوداع ..



ارضى الليل سدوله والسيارة ماضية في سمرها وثبدا
مستهدية بانوارها الكاشفة القوية .. حتى اذا امتوت
على الطريق الرئيسي بعد وقت خيل اليهم انه ساعات ،
راحت تنهب الارض نهارا ، ولم يمض وقت طويل حتى بلغوا
البلدة المجاورة ..

وكان مشهد الانوار الكهربائية والشوارع المبهلة والمباني
المشيقة بادشا على اغتباط الفتاة وفرحها وانتعاشها ..
وارقف مارتن ديل السيارة لدى احدي محطات البنزين ،
ثم عاود السير بعد اذ تم تموينها والفتاة تعرب عن جزيل

استأنها لما رأت من عطف المحامي .. على انها قطعت حديثها
وهي تقول في دهشة :

— ماذا جرى بالله يا مستر ديل ؟

فقد اوقف مارتن ديل السيارة في تقاطع واسر الى الضابط
القائم كلاما اجاب عليه وهو يشير بيده ، فما لبث مارتن
ديل ان استأنف السير مشغولاً في شارع آخر والفتنة
والمحامي ينظرون اليه في دهشة ويتوضخانه غايته
عشاً ..

ودقت السيارة عند مبنى كبير ذي التوار خضراء دلف
اليه مارتن ديل وغاب فيه نحو ربع ساعة ثم خرج منه
وهو يصفر .. فسأله نورن : ماذا جرى يا ديل ؟

فاجاب مارتن ديل وهو يستأنف السير بالسيارة : هناك
مسألة يجب ان تسوي ..

وشد ما كان الزعاج الفتاة والمحامي حين الفا السيارة
تعود ادراجها في الطريق الذي جاءت منه .
فقال مارتن ديل :

— نعم نحن عائدون الى البيت الابيض .. فان ذاكرتي
حاددة لا تنسى بسهولة .. ولوق هذا فمعنا مدد هذه
المره .. ولو نظرتم خلفكم لرأيتم سيارة تشعنا .. وهي
سيارة بوليسية ، فيها رئيس البوليس المحل ونخبة من رجاله .

فهتفت اليس وما زالت على الزعاجها : لكن لم هذا
يا مستر ديل ؟

فاجاب مارتن ديل في لهجة مستظرة : لان اى طريقتي

يوم الاثنين القادم

مغامرات جيمس بوند

اروع قصص الجاسوسية

جيمس بوند

العميل رقم ٧

جيمس بوند

اصحاب من فولاذ وقلب من جليد

العشيد العاشر

مدمر ع الشيطان

للكاتب الانجليزي : ايان فليمنج ،

مع باعة الصحف - ٥٠ مليما

التخاصة في معالجة القضايا وكشف اسرارها ولان الالاعيب
السحرية قد بطل مفعولها ..

- الالاعيب السحرية ..

فقال ضاحكا: بل اني ساعبر الان ساحرا بدوري .. لقد
لايتم بيتا يحنى .. تماظهره لكم مرة اخرى ! .

فجلسا يحمقان فيه ذهولا وقد انعقد منهما اللسان ..
وما لبث ان قال في صلاية :

- وحتى اذا تجاوزنا عن موضوع تافه كالبيوت المسحورة،
فما ينبغي لنا ان نتجاوز عن جريمة كجريمة .. القتل !!

الفصل التاسع

شاهدوا « البيت الاسود » قائما امام اعينهم ! .

لم يكن شبحا ولا سريبا ! . بل كان بيتا راسخا ثابت
القواعد والاركان ! .

شاهدوه قائما في نهاية « طريق السيارات » كما كان
من قبل ! .

كانت بحاجة انعقد لها لسان الفتاة ولسان المحامي
الشيخ .. فلم يملكا الا ان يحدثا مشدوهين في ظواهر
هذه المعجزة الخارقة التي فاقت معجزة اختفاء البيت ! .

اما مارتن ديل فقد اوقف السيارة ووثب الى الارض
وهو يرمي الى السيارة الخلفية ، ثم عرع الى « البيت
الابيض » وفي اثره رجال البوليس ككلاب الصيد الظمائي
في اعقاب الفريسة ، بينما تبعهم تورن واليس كالمسحورين

وركل مارتن ديل باب « البيت الابيض » بقدمه ودخل
ساعرا مسدسا عامرا وهو يقول :

- سلاما وتحية ! . ماذا يا دكتور ريناخ ! . الا ترحب
بسيوفك ؟ ..

فقد جلس الطبيب البدين رافعا يده بالكاس التي كان يهم
شربها وقد غاض الدم من وجنتيه فاستحالتا الى لون
الرماد ، في حين راحت زوجته تولول في سيرها والعجوز
سارة تنظر في بلاهة الا كبت الذي وقف لدى النافذة تلوح
على وجهه امارات الاعجاب تمازجها مرارة ظاهرة ..

وانتشر رجال البوليس السرى في المكان صامتين ..
وتهاكت اليس في مقعد وهي تنظر في جرح شديد الى
وجه الدكتور ريناخ .. وسرعان ما صدر صوت يسير
والذا رجال البوليس تراكضون الى النافذة التي كان كبت
واقفا بجانبها .. بيد انه كان اسبق منهم .. اذ راى بعدو
في الثلوج متجها الى الضاية كالغزال الوحشي .. فهتف بهم
مارتن ديل :

- لا تدعوه بقلت منكم ! .

فوثب ثلاثة رجال من النافذة في اثر العمسلاق الهارب
شاهري المسدسات .. واذا قصف الرصاص بسمع خارج
البيت مقترنا بأصوات يارقة خالطت ظلمة الليل ..

ويتم مارتن ديل شطر الموقدة يدفء يديه .. وهاد
الدكتور ريناخ الى مقعده متثدا شديدا الاثنا .. وتهاكت
تورن في مقعد آخر وقد رفع يديه الى راسه ..
وانتفى مارتن ديل قائلا :

- فعلى اخبرك ايها الكاتبين بموجب لما حدث هنا منذ وصولنا ، يسمح لك ان تستوعب ما سوف اقول ..
واذا اوما الضابط القوي ايجابيا اردف ديل قائلا في نكته :

- ولعالمك تذكر يا ثورن اني لأول مرة في حياتي تطلعت الى معونة سماوية .. ولا يسعني الا ان اعترف امام المتأخرين في هذه الجنابة الشاذة الخارقة انه لولا فضل المشايخ الربانية وهدايتهم الى افلاحنا في مؤامرتهم بصدد ميراث اليس هيوز ..

فقال الدكتور ريناخ :

- لقد خابت آمالي في عبقرتك ..

فتطلع اليه مارتن ديل وقال باسماء :

- يؤسفني ان يكون هذا شعورك .. والان اصبروني سمعكم .. حينما وصلت الى هنا لأول مرة مع مستر ثورن والآنسة هيوز كان الوقت عصرا .. ولما نظرت من نافذة غرفتي رايت الشمس تغرب .. ولم يكن لغروب الشمس معنى خاص اذ هو ظاهرة عادية مألوفة لا يهتم بها الا الشعراء والفلكيون ومن اليهم .. ولكن لأول مرة كان غروب الشمس مسألة جوهرية لمن ينشد الحقيقة .. اذ كانت بمثابة « مصباح رباني » اعدته العناية الالهية لكي تبديد دياجير الظلام .

واليكم البيان .. كانت غرفة الانسة هيوز في ذلك اليوم في الجانب الاخر من « البيت الابيض » الذي فيه غرفتي .. وما دامت الشمس تغرب في نافذتي فعني هذا اني اواجه الضرب وهي تواجه الشرق .. والى هنا لا غرابة .. وقد اوى كل منا الى مضجعه تلك الليلة دون

حدثت .. فلما استيقظت في الصباح الساعة السابعة اى عقب تشرق الشمس في هذا الفصل الشتوي رايت .. ماذا رايت ، اشعة الشمس تغمر نافذتي ..

واذ لم ينس احد بينت شرفة هتف مارتن ديل على الايام :

- ألم تفهموا ؟ .. لقد غربت الشمس في نافذتي من اليوم السابق .. واذا بها الان تشرق في نفس النافذة ..

فرجع الدكتور ريناخ كأسه وشرب تحب هذا الكلام تحية بقله برياً ، بينما مضى ديل يقول :

- والواقع ان مغزى هذه الظاهرة السماوية لم يستوعب نظري اول الامر .. بيد اني لم اليك فيما بعد ان تديرت معناها .. ورايت فيها علامة ربانية هدتني الى تفسير تلك الظاهرة الخارقة المدرحة ظاهرة اختفاء « البيت الاسود » بين عشية وضحاها ..

بيد انه مع ذلك لم اكن مستيقنا .. وكنت في حاجة الى تكرار هذه الظاهرة السماوية لكي يصبح حدسي حقيقة واقعة .. لكن الثلوج ما برحت تنهمر والشمس عن تحتها خلف نقاب صفيق فلم يسعني الا ان اغتمص بجبل الصبر والانتظار ريثما يتقطع مساقط الثلوج وتسطع الشمس من جديد ..

فلما طلعت الشمس بعد احتجابها لم يسبق في نفسي ادنى شك .. وقد رايتها اولا في غرفة الانسة هيوز التي كانت تواجه الشرق عصر يوم وصولنا .. لكن ماذا رايت في غرفة الانسة هيوز في مغرب يومنا هذا ؟ .. رايت الشمس « تضرب » ! ..

ومعنى ذلك ان عرقتهما كانت تواجه الغرب في همد
اليوم .. فكيف يمكن ان تواجه عرقتهما الغرب في يومنا
هذا وقد كانت تواجه الشرق يوم وصولنا ؟ . وكيف يمكن
ان تواجه عرقتي الغرب يوم وصولنا ثم تواجه الشرق يومنا
هذا ؟ .. هل كفت الأرض عن دورتها واضطرب نظير
الكون ؟ .. ان كان هناك تفسير آخر .. تفسير بسيط من
كل هذا حتى ليحير العقول لفرط بساطته ؟ .

كان التفسير المنطقي الوحيد الذى يتفق وقوانين الطبيعة
والبحث العلمى هو انه فى الوقت الذى كان يبدو فيه ان
البيت الذى كنا اليوم فيه والغرف التى اقمنا بها هى
المظاهر فى نفس البيت والضرب التى نزلنا بها يوم
وصولنا ، فانها فى الواقع لم تكن كذلك .. اللهم الا اذا قلنا
ان هذا البيت نحن فيه والآن قد ادير فى مكانه كما تدور
بوت الاطفال حول العصا ، وهذا مالا يسلم به عاقل ،
والنتيجة انه غير البيت .. وصحيح ان مظهره متشابه
فى الداخل والخارج : وبه نفس الاثاث والسجاد والزخارف .
ولكنه بيت آخر .. بيت عطايق للبيت الاول فى كافة دقائقه
وفصيلاته مع فارق واحد : هو موقعه الارضى بالنسبة الى
الشمس ..

واسمعوا الان التفسير العلمى الذى يقر كل شيء فى
نصابه .. اذا كان هذا « البيت الأبيض » الذى كنا فيه
اليوم ليس هو نفس « البيت الأبيض » الذى نمنا فيه ليلتنا
الاولى ، وانما هو بيت مطابق له فى موقع آخر بالنسبة
الى الشمس ، فالنتيجة هى ان البيت الاسود الذى اخفى
ظاهريا لم يخف اطلاقا .. بل بقى حيث كان قائما .
ان البيت الاسود لم يخف ، بل نحن الذين اخفينا ! .

ان البيت الاسود لم ينتقل من مكانه ، بل نحن الذين
انتقلنا ..

لقد نقلنا فى اثناء ليلتنا الاولى الى مكان آخر متشابه
فى القباب المحيطة به ، وفى (طريق السيارات) الذى
ينتهى بجراج : وفى الطريق العام الممتد قرب ..
اجل ، متشابه فى كل شيء ، الا فى عدم وجود « بيت
اسود » بجانبه ، بل تجاوره بقعة خاوية ..

لابد اننا نقلنا اذن ، اشخاصا وامتعة ، الى هذا « البيت
الابيض » المتشابه : فى خلال ساعات نومنا فى ليلتنا
الاولى ..

نقلنا جميعا ومعنا صورة والدة اليس التى كانت موضوعة
على رف المدفأة ، ونفس اقرب ابواب غرفنا حيث كانت
الاقفال ، وحتى نفس شظايا زحاجة الوبسكى التى حطمت
فى تلك الليلة على تلك الصورة التمثيلية اليسارعة فوق
جدار المدفأة فى البيت الاصلى - نقل هذا كله الى البيت
المتشابه ، امعانا فى ايدينا باننا فى نفس البيت الاصلى
اذا طلع النهار .

فقال ريناخ باسما :

- ياله من خيال خصب رائع ! .

فقال مارتين دبل :

- وانها لخطه يدعىة محبوكة الاطراف ، تشف عن
المبقرة والتفرد ! . بل انها كانت منسقة مع المنطق حالما
وقفت الى مفتاح حليها .. انظروا معي ! . ما دعنا قد نقلنا
ليلا دون علمنا فمعنى هذا ان مهمة النقل تمت ونحن غائبون
عن الرشد .. ولقد تذكرت انى ولورون لم يتناول كلانا من

الشراب سوى كأسين ، شعرنا بعدهما في الصباح بصداخ
وخدر في اللسان .. فأيقنت ان هذا وليد مادة مخدرة
خفيفة .. وقد اعد الشراب في الليلة السابقة بيد الدكتور
ريناخ طبيب وعقاقير المعنى بسيط ظاهر للعيان ! .

فراح الدكتور ريناخ ينظر متفكها الى ضابط البوليس
القوى ، بيد ان هذا لبث في مكانه جامدا عابسا ، بينما
استرسل مارتن ديل قائلا :

- لكن هل فعل الدكتور ريناخ كل هذا وحده ؟ .. كلا ..
مستحيل ! .. فرجل واحد لا يستطيع ان يتم هذه المهمة
الكبيرة في ساعات قليلة محدودة ، وبعبارة اخرى لا يستطيع
وحده ان يعد سيارة ثورن ، ثم ينقلنا مع حقائبنا وملابسنا
بالسيارة من البيت الابيض (الاصلى) الى صنوه وشبيهه
نونا ، ثم يرب ملابسا في مواضعها الاولى ، ثم ينقل
الصورة وشظايا الزجاج الى مكانها المائل .. وهكذا ..
وهكذا .. هي عملية ضخمة حتى ولو اعد شطر كبير منها
قبل مجئنا .. ولا ريب انها من عمل افراد متعددين
مجتمعين .. او من عمل شركاء متعاونين .. ومن يكونون
الا من تاليت جميعا ؟ . باستثناء العجوز سارة التي لا
يعقل ان لها مصلحة مفهومة في كل هذا ..

ثم اردف مارتن ديل وقد لمعت عيناه :

- واذن فاني اتهمكم جميعا ، ومعكم كيث الذي احسن
صنعا بافلاته ، اتهمكم بالاشتراك في المؤامرة المدبرة لمنع
الانسة هيوز من الاستيلاء على البيت الذي اخفيت فيه ثروة
ايها ! .

قال الدكتور ريناخ وقد شبك يديه فوق صدره :

- ما ابدع هذه القصة الخيالية التي لم ار مثيلا لها في
عالم القصص ! . ولا ريب ياكابتن انك لا تصدق هذه الرواية
المختلفة ؟ وعندي ان مستر ديل فقد صوابه ، بتأثير خيال
عارض .

فتنهده مارتن ديل قائلا :

- هذا كلام لا يليق بك ياكتور .. ان الدليل على صحة
كلامي هو اننا هنا ، في هذه اللحظة

فقال رئيس البوليس الذي لم يفهم تماما :

- عليك ان تفسر لنا هذا ..

- اعني اننا الان في « البيت الابيض » المتشابهة ..
والواقع اننا لم نكد نرحل هذا المساء حتى عاد هؤلاء جميعا
الى هنا .. فان البيت الابيض المتشابه قد ادى مهمته
وامسوا في غير حاجة اليه .

والان استمعوا لهذه الخدعة الجغرافية .. فان كلا البيتين
الابيضين له طريق سيارات يتفرع من الطريق الرئيسي ،
واحدهما يتفرع قبل الثاني بنحو ستة اميال .. ولما جاء
بنا الدكتور ريناخ من رصيف الميناء تجاوز عاما طريق
السيارات المؤدى الى البيت المتشابه دون ان نغطن اليه
ومضى في سيره حتى جاء بشا الى هنا .. الى البيت
الاصلى .

وقد عطالت سيارة ثورن عمدا للحيلولة دون قيادته
ايضا .. فان قائد السيارة يرى ويحفظ من معالم الطريق
ملا يراه الركاب .. بل ان كيث رافق ثورن في زيارته
الاوليين - لـلسـلفـسـتر هيوز لارشساده الى الطريق « ظاهرا »
وتحويل نظره عن معالمه « حقيقة » .

ثم ان الدكتور ريناخ هو الذي قاد بنا السيارة الى هنا
يوم وصولنا .

وقد سمح لي بقيادة السيارة هذه الليلة في رحلة كانوا
يرجون الا رجعة بعدها لاننا بدانا الرحلة من البيت المتشابه
وهو الاقرب اتصالا بالطريق الرئيسي وبالبلدة .

وكذلك لم يكن ثمة خوف من ان نمر « بطريق السيارات »
الآخر فتشار شكوكنا . . وكانوا مطمئنين الى اننا لنعرف
انفسنا ان نغطفن الى قصر مدى الطريق نسبيا .

فقال رئيس البوليس :

— تكن حتى اذا سلمنا بكل هذا . فلست ارى فائدة
يجتونها عن ورائه . . اذا ما كان لهم ان يطعموا في خداعكم
والتهجير بكم الى الابد

فهتف مارتن ديل قائلا :

— صحيح . . لكن لا تنس انهم كانوا ياملون الا نغطفن الى
حديقة الخدعة الا وقد وضعوا ايديهم على ثروة سلفستر
واختفوا بها . . الا ترى ان الخدعة كلها قامت على الرغبة
في كسب الوقت ؟ . . الوقت اللازم للتحقيق في داخل
« البيت الاسود » المجاور لوجد تمويه الان خرائب وانقاضا
من الداخل . وهذا هو تفسير اختفاء كيث وريناخ المتكرر
فقد كانا يبتاولان الاختلاف الى « البيت الاسود » بنشان
ويحفران بحثا عن مكان الكنز المزعوم . بينما نحن باقون في
« البيت الابيض » المتشابه تستغرق اهتمامنا ظاهرة
خارقة شاذة . . ولعل في هذا تفسير حادث الاعتداء على
في الالفابا بالورن ، اذ تسلل شخص ما — لعنه الدكتور

ريناخ — من تحت الفلك ولطمني فوق راسي حين سئلت لي
بفس ان اقتفى آثار كيث في الثلوج . . فانه كان لابد من
منعني من الوصول الى « البيت الابيض » الاصلي ، والا
الكشف الخداع .

فقال ثورن مزعجرا :

— واين الذهب الان ؟ . .

فهز مارتن ديل كتفيه قائلا :

— اعتقد انهم وجدوه وحملوه الى مكان ما ،

فقاتل مدام ريناخ نادبة مولولة :

— لكننا لم نجده . . ألم اقل لك باهربرت ان . .

فانتهزها الزوج قائلا :

— يا مفضلة ! . . يا بهيمة ! . .

فقال رئيس البوليس مخاطبا ريناخ :

— الان كنت لم تجد الذهب ، فلم تركت هؤلاء النسالة

بدهبون اليلة ؟ . .

فلم يجب الطبيب ، بل تشاغل باحتساء كأسه . . فتبرع

مارتن ديل بالجواب قائلا :

— ان الجواب على هذا هو اساس القضية . . بل هو شر

عنصر فيها وافدح جانب منها . . وما كان الخداع الذي

ارتبوه الا عينا بالقياس اليه . . لانه يشمل مسألتين لاعلاقة

بينهما في الظاهر ، اعني « اليس هبور » و« جنابة قتل » . .

فقال رئيس البوليس :

— جنابة قتل ! ؟ .

وقالت اليس في اضطراب : يشملني ! ..

فأشعل مارتن ديل سيجارة والتفت الى رئيس البوليس قائلا

- حينما وصلت اليس عيوز معنا في اليوم الاول ذهبنا جميعا الى « البيت الاسود » .. وقد عثرت في غرفة والدها على صورة قديمة تمثل امها في صباها - وانا لا ارى الان هذه الصورة هنا ، ومعنى هذا انها لا تزال في البيت الابيض المتشابه .. وما كاد يقع نظر اليس على الصورة حتى انقضت عليها انقضاض الجائع على الطعام ، معللة هذا بانها لا تمتلك غير صورة واحدة قديمة لامها ، وقد بلغ من امتزازها بهذه اللقبة الجديدة التي عثرت عليها من حيث لا تحسب ، انها حملتها معها من فورها الى البيت الابيض ابي الى هذا البيت .. وقد وضعتها على رف هذه المدفأة في مكان ظاهر ..

على انها حينما هربت معنا من البيت المتشابه في هذه الليلة هروبا كان يبدو الا رجعة بعده « تجاهلت كل الجهل صورة امها » ، ذلك التذكار العزيز الذي كادت تجن به فرحا في اليوم الاول وما كان يصح انها نسيته في اضطراب الموقف ان ساع هذا التعبير ، وهي قد وضعت حقيبة يدها على رف المدفأة قبل خروجها ببرهة وجيزة الى جانب الصورة .. بل انها عادت على الاثر الى الرف لاسترجاع حقيبتها ، ولكنها تجاوزت الصورة واخذت الحقيبة وحدها دون ان تلتقي عليها نظرة وما دامت قد قررت بلسانها من قبل ان الصورة عندها قيمة ادبية لا تقدر ، فقد كان ينبغي الاتفطر عنها اطلاقا وان تكون اخر شيء تنساه .. بل ما دامت قد اخذت الصورة في اول مرة فقد كان يجدر ان تاخذها عند الرجوع ! ...

فلم يتمالك اورن ان هتف به قائلا وهو يحمل في وجه الفتاة التي جلست مسمرة في مقعدهما لا تكاد تتنفس :
ماذا يالله تقصد بهذا الكلام !

فاجاب مارتن ديل في ايجاز : اقصد اننا اصبنا بالعمى .. اقصد ان التخليل لم ينحصر فقط في ابدال بيت بيت بل تجاوزه الى ابدال امرأة بالمرأة .. انني اقرر ان هذه الفتاة ليست هي اليس هوز ! ..

فبحم سكون مطبق لم ينبس خلاله احد بيئت شسفة ولم يدر فيه ادنى حركة .. وما لبثت الفتاة في نهايته ان رفعت نظرها وقالت وهي تنهت بقوة :

- انني فكرت في كل شيء الا هذه المسألة .. وقد كان كل شيء يسير على اجمل ما يرام ..

فقال مارتن ديل بالهجته الساخرة الخفيفة :

- الواقع انك نجات في استغفالتنا الى بعد حد .. وما ذلك الموقف التمثيل الذي حدث في غرفتك امس الا مصداقا لكلامي .. اني اعلم الان ما حدث .. فان الدكتور ريناخ قد ذهب خلسة الى غرفتك في منتصف الليل لابلانك تطورات البحث والتنقيب من البيت الاسود ، او ربما لاقتناعك بوجوب الاحلاح على توزن وعلى الرجول اليوم مهمسا بكن الزمن .. وقد تصادف مروري في البهو في تلك المحظة حيث عثرت قديمي في الظلام واصطدمت بالحدار في صوت سدوع .. واذا كنتما لا تعلمان مصدر الصوت او من يكون فسرعان ما اصطدمتما ذلك الموقف التمثيلي البارح .. ان المسرح خسر فيكما ممثلين مجيدين ..

يجلس الدكتور ريناخ مع بعض العيدين .. اما الفتاة نعمعت
في ليحة الاعياء والتحدى :

- الواقع يا مستر ذيل اني قضيت بضعة اعوام من حياتي
على خشبة المسرح ..

- كلاهما شيطان مريدا .. وما كانت هذه المؤامرة الجهنمية
الا تمرة الخيال الشرير والعقلية الآثمة .. ولقد كنت تعلمين
ان اليس هيوز غير معروفة لاحد هنا الا بصورها .. وفوق
ذلك فهناك مشابهة قوية بينك وبينها كما شهدت بذلك الصور
.. وكنت مطمئنة الى ان اليس هيوز لن تبقى في صحبتي مع
ثورن اكثر من ساعات قلائل اغلبها بين جدران السيارة
القائمه ..

وغير مارتين ذيل لهجته .. فراح يقول في صرامة : ان
« اليس هيوز » جاءت لأول مرة الى هذا البيت واختفت
حين صعدت الى غرفتها مع مدام ريناخ .. ونزلت انت بدلها
تمثلين دورها وتقمصين شخصيتها .. انت التي اختفيت
عمدا من عيني ثورن طيلة الايام الستة الماضية لكي لا يعلم
شيئا من وجودك ! .. انت التي استسلمت في اغلب الظنون
هذه المؤامرة الشيطانية حين جاء ثورن بصور « اليس هيوز »
ورسائلها المفصلة التي هنا .. انت التي كان لك من
مشابكتك الطبيعية لاليس هيوز ما هيا لك انتحال شخصيتها
بنجاح في نظر شخصين غريبين عنها !

واصارحك انك بدت غريبة في نظري الى حد ما عندما
نزلت لتناول طعام العشاء في تلك الليلة ، بيد اني قدرت ان
اختلف مظهرك اليسير راجع الى تغير هندامك وتجميلك
بعد طول السفر .. وطبعي اني كلما رايتك بعد ذلك بعد
المهد بيني وبين « اليس هيوز » المحققة وقل احتعال

شكيت في شخصيتك .. ولم يكن منه من خطر عليك الا من
ناحية العجوز سارة ، التي قدمت لنا مفتاح المفز كله حين
رايناها لأول مرة .. فانها حسبك ابنتها « اوليفيا » ولها
الحق كل الحق .. فانك « الانت ابنتها اوليفيا » !

راح الدكتور ريناخ يرشف كأسه في غير اكثرات تام ..
وجلست العجوز تحدج الفتاة ببلاهة .. بينما مضى مارتين
ذيل يقول :

- بل انك توقيت هذا الخطر اذ عهدت الي الدكتور ريناخ
ان يحدتنا في الوقت المناسب عن اوهام العجوز ساره وعن
ملك القصة الزائفة التي دارت حول وفاة « اوليفيا » في
حادث سيارة منذ اعوام .. فيجبا للبراعة .. والواقف ان
الخداع كان تاما بالغا حد الكمال الى حد ان العجوز نفسها
انخدعت بالاختلاف في صوتك وشعرك وهما عاملان بارزان
في اثبات الشخصية .. واؤكد لك ان هذه البراعة الخارقة
كانت جذيرة ان تستأثر باعجابي ، لولا شيء واحد .

فقال اوليفيا بهدوء : انك داهية جبار .. ماذا تعني ؟
فدنا مارتين ذيل منها ووضع يده على منكبها قائلا : ان
اليس هيوز اختفت واخذت انت مكانها .. فلم فعلت هذا ؟
الجواب ، لسببين .. الاول : لابعادي انا وثورن عن منطقية
الخطر في اقرب وقت ، والعمل على استمرار بعدها بعدوك
عن المطالبة بالمرث او استغنائك عن خدماتنا والثاني
البلغ من الاول أهمية ، ويتحصر في هذا .. فانه اذا لم يفلح
شركاؤك في ايجاد الكنز الذهبي بقيت شخصيتك المنجحة
بوصفك اليس هيوز ، وتسنى لك ان تنصرف في « البيت
الاسود » كما تشسائين .. وفي وجد الذهب كان لك
وشركائك خالصا .

على انه لم يكن بد لضمان استيلائك على ميراث « اليس هيوز » ان تبقى صاحبة الشخصية الحقيقية مختفية الى الابد .. ان تموت ! ..

واحتتم مارتن ديل كلامه وهو يقبض على منكب الفتاة قائلا : وهذا ما جعلني اقول ان هناك مسألة لا بد من تسويتها غير اختفاء البيت .. فان « اليس هيوز » قد قتلت ..

في هذه اللحظة سمع في الخارج صياح متعال ما لبث ان انقطع كما بدأ .. بينما اردف مارتن ديل قائلا : قتلت « اليس هيوز » بيدي ذلك الشريك الذي لم يكن في البيت حين نزلت هذه المخادعة العشاء في تلك الليلة الاولى .. اعني ديك كيث ، ذلك القاتل الماجور ، وان يكن هؤلاء جميعا شركاء في جريمة القتل ..

واذ ذلك صدر صوت من النافذة يقول : ما هو بقاتل ماجور فاستداروا جميعا فجأة مشدوهين .. فقد راوا رجال البوليس الثلاثة الذين وثبوا من النافذة مند امد قصر ، واقفون عن كئيب منها ، وانماهم رجل وامرأة .. وقد راحت المرأة تقول :

— ما هو بقاتل ماجور ! فذلك ما كانوا يحسبونوه ! .. لكنه بدلا من ان يكون قائلا ، وبغير علمهم ، انقذ حياتي .. ربك الله يادك ا .

وسرعان ما اغبرت وجوه المتأمرين .. فقد رقت « اليس هيوز » بجانب كيث وكانت صورة مقارنة للفتاة الجالسة بداخل الغرفة : الا في بعض الفوارق الظاهرة .. وقد بدت نحلة عابسة ، ولكنها كانت تتأبط ذراع ذلك كيث في سعادة بالغة .

الخاتمة

قال مارتن ديل لصديقه تورن بعد ان تهيأ لهما الوقت لاستعراض هذه القضية الغريبة وفهمها على حقيقتها :

— الواقع ان المؤامرة كلها ما كانت لتتم لولا شيطان شخصية « اوليفيا » ووجود ذلك البيت الابيض المتشابه في القابة .

وكان يسوغ لبطلنا مارتن ديل ان يقول ايضا ان المؤامرة ما كانت لتتحقق لولا تلك اللوثة اللقمية الغريبة ، الوراثية في اسرة هيوز ! .

فان والد سلفستر هيوز — وما كان الدكتور ريناخ الا زببها — كان يعقله خلل يرثه عنه ولدها التوامان : سلفستر وسارة ، اللذان كانا ابدا متحاسدين متنافرين .

ولما تزوجا في شهر واحد نحاشي ابوهما الخلاف بار اهدى كلا منهما بيتا بنى خصيصا لهذه المناسبة وجعل البيتان متشابهين متطابقين ، ظاهرا وباطنا ، وقد اقيم احد البيتين قرب بيت الاب واهدى الى سارة لمناسبة زواجها ، واقسم البيت الثاني في قطعة ارض يمتلكها الاب على مسافة اميال من الاول واهدى الى سلفستر .

ولما توفي زوج ساره في ربيع حياتهما الزوجية انتقلت للاقامة مع اخيها المتين : الدكتور ريناخ .. وبعد وفاة هيوز الاب اوصد سلفستر بيته الخاص وانتقل للاقامة في بيت العائلة .

وكذلك قام البيتان المتشابهان اثرنا ناطقا بشكوك افراد هذه الاسرة ، لا يفصل بينهما سوى اميال معدودة ، وكلاهما مزود بالاثاث الكامل المتشابه ! .

ثم وسوس الشيطان لأوليفيا ذات المكر والدهاء وسول لها ما سول ! فأغرت من معها بالانتقال الى البيت الابيض المجاور للبيت الاسود لمضايقة سلفستر هيوز او للسطو عليه .

ولما جاء ثورن ببناء قناة سلفستر بعد طول احتجاجها فطنت اوليفيا الى الخطر الذي يهدد خطتها حتى اذا انتهت الى المشابهة الفريدة بينها وبين ابنة خالتها الانجليزية ، نبتت في ذهنها تلك المؤامرة الشيطانية الفريدة .

وكانت الخطوة الاولى في سبيل التنفيذ هي اغراؤها الدكتور ريناخ بقتل اريضة سلفستر قبل وصول ابنته . . وقد اثبت التشريح الطبي الذي اجري في جثة سلفستر عند استخراجها من القبر فيما بعد ، انه رمي سموما . . وفي خلال ذلك راحت اوليفيا تتدرب على خطة المشابهة والانتحال التي اعدتها . .

ولم تفكر « اوليفيا » في « خداع البيوت » الا تضاملا لعيني ثورن ، حتى يشغل بهذه الظاهرة بينما يدور البحث والتنقيب في جوانب « البيت الاسود » طلبا للذهب . . وما كان هذا الخداع الا مهمة سهلة ويسيرة والبيت الابيض المتشابه موجود وقائم تام الاثاث . . وما كان يقتضيها الا ان تفتح للهواء والشمس وان تتولاه بالنظافة والعناية . . وقد اتسع امامها الوقت لاتمام هذه المهمة قبل وصول اليس هيوز . .

على ان نقطة الضعف في هذه المؤامرة البارعة تجلت بعد ذلك في اختيار ذلك كيث للقضاء على اليس هيوز . .

وقد انضم هذا الشاب العملاق الى زمرة المتآمرين كغفامر لا يتردد في القيام بكل ما يراد منه متى استوجر بسخاء . . على انه لم ينضم اليهم اعتباطا ، فانه كان ابن زوجة سلفستر الثانية التي اشطهدها وعذبها حتى فرت منه مع والدها ثم باثت بعد ذلك في قفسر وبؤس النعمين . . ولم تمت الام في الواقع حتى غرست في صدر كيث بذور الحقد على اسرة هيوز ، وان يكن هذا الحقد قد تلاشي من نفس الفتى بمر الاعوام . .

وكان كيث يرمى بانضمامه الى عصبة المتآمرين الى البحث عن ثروة زوج امه واسترداد حصته الشرعية من هذه الثروة التي اغتصبها سلفستر من امه في حياته ، ولم يضم هذا الشاب قط ان يقتل « اليس هيوز » كما زعم لرفاقه ظاهرا . .

والواقع انه حين حملها من البيت في تلك الليلة الاولى تحت انف ثورن وعادرن دليل لم يفعل ذلك بقصد اغتيالها واخفاء جثتها كما لفتته اوليفيا من قبل ، بل لكي يخفيها في كوخ قائم بين الغابات المجاورة لم يكن يعرفه الا هو . .

وكان يختلس الفرص تهريب الطعام اليها وهو يقوم بتوابعه في التنقيب في « البيت الاسود » وكان يعاملها في اول الامر معاملة الاسيرة معتزما ان يمضي في هذا المسالك حيالها حتى يوفق الى ايجاد الذهب او اخذ نصيبه منه ثم يركن الى الغرار . .

بيد انه ما لبث ان وقع في شرك غرام اسيرته ، وبألها بقصة المؤامرة من القوسا الى بالها . . وقد زالته رقة

الفتاة وعطفها عليه شجاعة ، فاقنعا بلزوم مكانها
حرصا على سلامتها حتى يوفق الى ايجاد الكنز وخذع
شركائه ، ثم وازحا اوليفار معا وبفضحا حقيقتها ..

على ان وجه المخربة ، كما قال مارتن دبل ، هو ان
الهدف الذي قام عليه كل هذا التآمر ، وهو الكنز الذهبي
الذي خفاه سلغستر هيوز ، بقى محجوبا عن العيان ،
بعيدا عن طائلة الايدي .. فانه رغم البحث والتنقيب
الدقيقين في « البيت الاسود » ، وما جاوره لم يتسن
الاهتداء الى الذهب المرموق ..

فقد قال مارتن دبل باسمنا وقد اجتمع باصحابه
بعد بضعة اسابيع :

— اني دعوتكم الى مسكني المتواضع بعد ان خطر لي
راي وجدت المنطق يقضي بتحقيقه وتمحيصه ..

فراح كيث واليس وثورن يتبادلون النظرة في سكون
وقد استقروا في مقاعدهم .. وما لبث كيث ان قال
باسمنا :

— يبرنى ان اجد عندك رايانا في الموضوع .. فاني
في قعر مدقع .. واليس تفوقني فقرا .. !
فقال مارتن دبل في جفء :

— انك لا تنظر الى المال لك النظرة الفلسفية التي عهدناها
في الدكتور ريناخ .. سامحه الله .. ترى كيف وجد طعم
السجن .. !

اقرأ رواية الممد القادم

الرب الأصفر

اروع مغامرات اللص الطريف

أرسين لوبين

للكاتب الفرنسي الكبير

موريس بلان

احجز نسختك مع البائع

الآن لتكلم فيما دعوتكم اليه . . عانه بعد ان
لم نجد الرا لذلك الذهب المزعوم . لم يبق الا ان نعالج
الموضوع بأسلوب آخر . . هل ينقص الان من بيت سلفستر
شيء كان موجودا به حال حياته ؟ .

ف نظرت اليس الى اللقافة الموجودة في حجرها
قائلة : اذن هذا هو الذي حملك على ان تطلب الى استحضار
هذه الاشياء معي اليوم . .

وعتف كبت :

- تعنى ان سلفستر قد تعمد لتضليل الأذهان حين صرح
بان لورونه مؤلفة من الذهب ؟

فضحك مارتن ديل وتناول اللقافة من الفتاة وفكها ولبث
برهة يتأمل الصورة الكبيرة ذات الاطار التي تمثل والدة
اليس في صباها . . وما عثم اخيرا ان نزع ظهر الاطار
في حركات الواثق الطمئن ، فاذا اوراق ملونة زاهية
تساقط في حجره . واذا هو يقول باسمه : ثروة من اسهم
ومستندات . . !! من قال يا آنسة ان اباك كان مختل العقل ؟
انه كان آية في العقل وبعد النظر . .

هلم بنا يا جوزن ، واتدع هذين الخطيبين السعيدين
المجدودين وحدهما !

تمت